محمد العلمي

زعيم الريف

محمد عبد الكريم الخطابي

محمد العلمي

زعيم الريف
محمد عبد الكريم الخطابي

تقديم :

الرئيس علال الفاسي

الطبعة الثانية

رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

مكتب الرئيس

٣/٤/٦١/٥ ٦١٦٤

السيد / محمد العلى

تحية طيبة وبعد

فيسرنى ان انقل اليكم خالص شكر السيد الرئيس على اهدائه نسخة من مؤلفكم " زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابى .

وان سيادته ليقدر لكم ذلك الجهد العظيم الذى بذلتموه تبيانا لمعالم ثورة الريف المغربيه واسبابها ودور الزعيم المجاهد العظيم فيها ذلك الدور الذى اصبح علامة تحول كبيرة فى تيار التحرر العربى من الاستعمار والامبريالية العالميه .

مع تمنيات سيادته لكم بدوام التوفيق والسداد فى ظل امتنا العربية الخالدة .

مع وافر الاحترام "

٢٤/٢/ ١٩٦٩

مدير مكتب الرئيس

للشئون الداخلية

(محمود الجيار)

تقديم

بقلم : فضيلة الرئيس علال الفاسي

شخصية البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى غنية عن التعريف . فان ما بذله من جهد فى سبيل المغرب وتحريره معروف لدى كل الناس ، وقد اصبح المجاهد الخطابى بطل التيار التحررى لا فى المغرب وحده ، ولكن فى عموم العالم العربى والاسلامى وفى العالم الحر . ولقد سمعت اكبر زعماء البلاد العربية الذين وفدوا الى القاهرة للسلام على البطل بعد نزوله بها يؤكدون تأثير الثورة الريفية على اتجاههم السياسى والنضالى فى سبيل الحرية والاستقلال .

ولا ينكر احد ان ثورة ابن عبد الكريم اول حركة ايجابية من نوعها جرت فى البلدان المستعمرة بعد المد الاستعمارى الذى جرى على اثر انتصار الحلفاء فى الحرب الكبرى الاولى . وبذلك فهى اول رد فعل اهلى زعزع كيان الاستعمار وفرض عليه ان يهيىء كل قواه لحماية نفسه من الانهيار .

واذا كانت النهاية المعلومة للحرب الريفية لم تحقق النصر المنشود ، فانها كانت والحق يقال بداية النهضة المغربية التى كان من آثارها قيام الحركة الوطنية فى الوقت الذى احتل الاجنبى آخر معقل للمقاومة المسلحة فى البلاد . فكأنما كان التاريخ على موعد مع الوطنيين الاحرار ليواصلوا العمل الذى بداه المقاومون الابطال من اسرة الحاج محمد امزيان

وخريرو وموحا وحمو ورحو وزيد واحمد وغيرهم .

والذين كتبوا عن ثورة الريف معظمهم من الاجانب لا يستطيعون ان يتحرروا من الروح الاستعمارية وعقدة التفوق الغربى ، ولذلك لا بد ان ننظر الى ما كتبوه نظرة حذر واحتياط .

وهذا ما فعلته اثناء كتابتى للفصل المتعلق بالحركة الريفية من كتابى «تاريخ الحركات الاستقلالية فى المغرب» ، اذ كنت ارجع الى تصحيح قراءتى وسماعاتى على كل من البطل محمد بن عبد الكريم واخيه محمد وعمه المجاهد الصالح الامين سيدى عبد السلام . ومن سوء الحظ ان المذكرات التى كان يمليها البطل على صديقى المرحوم على الحمامى لم يقدر لها الظهور والا ففيها غناء عن كل مصدر سواها .

وقد كتب صديقنا المرحوم امير البيان المجاهد الاكبر شكيب ارسلان فصلا ممتعا عن بطل الريف فى كتابه «حاضر العالم الاسلامى» بين قيمة الزعيم المغربى فى نفوس القادة المسلمين .

وقد اهتدى الاستاذ محمد العلمى الى القيام بواجب ذهل عنه الكثير من المثقفين المغاربة ، ، فالف هذه الرسالة عن بطل الريف وحركته دون ان يهمل اعطاء نظرة عامة عن منطقة الريف وتطورات الاحوال فيها .

ولقد كان مضطرا ككل كاتب الى مراجعة المصادر الاجنبية التى ذكرها فى آخر الكتاب ، وهى على ما اشرت اليه من التوجيه الاستعمارى.

وقد حاول ان يبقى فى اطار الموضوعية بقدر المستطاع ، فشرح عوامل الثورة واسبابها وبعض عناصر مقوماتها دون ان ينسى بعض نقط الضعف التى ادت الى فشلها ، ولكنه بذل الجهد لتهذيبها على حسب ما سمحت له مصادره الشفوية الاخرى .

وفى هذه المقدمة لى ان اؤكد ما لا يحتاج الى تاكيد ، وهو ان ثورة الريف كانت وطنية تحريرية غايتها تحرير المغرب من يد الاستعمار الاجنبى ولم تكن بحال تمردا على السلطة المركزية المغربية كما حاولت نشر ذلك ادارة الامور الاهلية الفرنسية والاسبانية فى المغرب اثناء الحرب . وكان غرض الاستعماريين من هذه الدعاية ان يقنعوا المرحوم

مولاى يوسف والمخزن بسوء نية عبد الكريم ليبرروا تدخلهم المسلح ضده. وقد افسدنا على الفرنسيين خطتهم هذه فى ابانها حيث كتبنا رسالة دورية نسبناها للبطل الريفى ، كتبناها بالخط فى نسخ عديدة واهرقنا عليها شيئاً من الزيت لتظهر وكأنها واردة مع الجبليين القادمين لبيع زيوتهم ، ثم وزعناها على العلماء والمسؤولين فى المغرب . وكان فحواها شكر البطل لاعيـان الامـة على تأييدهم له وتمنيه ان ينصره الله ليحتفل معهم بجلاء الاجنبى فى ضريح مولاى ادريس وفى ظل ملك البلاد . وهكذا افسدنا على المستعمر دعايته المغرضة دون ان يكتشف احد مصدر هذه الرسالة التى لم يكتبها الا ثلة من الوطنيين منهم الاخ الحاج الحسن ابو عياد .

ذكرت مرة هذه الحادثة للبطل محمد بن عبد الكريم اثناء مقامنا فى القاهرة فابتسم واخبرنى انه كان اطلع على ذلك وفهم مغزاه وسر كثيرا .

اما ازمة الريف التى حصلت بعد الاستقلال فهى حادث داخلى اراد المؤلف ان يسجل ظاهرة اجتماعيـة والطريقـة التى اتبعها المغـرب فى معالجتها . وانى انصح القارىء لاستكمال الموضوع فيها ان يرجع الى ملفات القضايا المرفوعة فيها بمحكمة الاستئناف بطنجة حيث يجد بيانات تعرف بحقيقة الازمة واسبابها ونتائجها .

وختاما ارجو للاستاذ العلمى المزيد من التوفيق حتى يواصل التأليف والكتابة ويعطى القدوة الحسنة للشباب المغربى فى ذلك .

الرباط 22 يوليه 1968

البحر الابيض المتوسط
المحيط الاطلسي
طنجة
سبتة
الشاون
جبـــــة
بني بقوبا
أجدير
بني بوفراح
بني ورياغل
تغسان
أنوال
بني توزين
ترغيت
صنهاجة
غزناية
الكنول
بني مسارة
بني زروال
وزان
البرانس
نهر لوكوس
نهر سبو
فاس
الرباط
تازة
كرسيف
قبيلة بني ياجيجي
تاوريرت
مليلية
الجزر الجعفرية
بورساي
بركان
بني سناسن
وجدة

المقدمة

على اثر الحرب التحريرية التى قامت فى الريف ، شمال المغرب الاقصى ، من سنة 1921 الى سنة 1926 بقيادة محمد عبد الكريم الخطابى ، قامت جماعة من الكتاب الفرنسيين والاسبانيين وغيرهم من الاوربيين يؤلفون الكتب ، ويكتبون المقالات عن هذه الحوادث . وكثيرا ما شوهت الكتب الاستعمارية اهداف الحرب التحريرية الريفية ونعتت قائدها بأخبث الالقاب .

وقد قرات بعض هذه الكتب ، لهذا رايت من الواجب الوطنى تأليف كتاب عن زعيم الريف وعن الحرب التى قادها ضد الاستعمار يكون مكملا للصفحات التى كتبها بعض الزعماء المغاربة .

لقد كنت اجهل جوانب كثيرة من حرب الريف ومن حياة قادتها ، وقد ساقنى البحث الى معرفة تفاصيل متعددة جديرة بالاهتمام . ومع ذلك فان كتابى هذا ، يطمح فقط فى اعطاء نظرة عن محمد عبد الكريم ، وعن بعض الجوانب من حياته ، فهناك جوانب متعددة لا تتوفر المستندات فى موضوعها لحد الآن . ولكن هذه النظرة عن بطلنا كافية ، لان كثيرا من الناس فى المغرب وفى العالم العربى ، يجهلون الكثير فى هذا الموضوع لا يعلمون منه الا قليلا .

فسافرت الى الريف ، وزرت المناطق والقرى والمدن التى جرت فيها حوادث الريف سنة 1921 ـ 1926 ، واتصلت بأشخاص مسنين حاربوا بجانب المجاهدين فى الريف وسمعت قصصهم .

كما قرات جميع الكتب والمستندات التى تتحدث عن هذا الموضوع والموجودة فى الخزانة العامة بالرباط .

واتصلت بشخصيات مغربية زارت محمد عبد الكريم فى القاهرة قبل الاستقلال وبعده ، وفى مقدمتها الرئيس عبد الله ابراهيم ، والاستاذ عبد المجيد بن جلون سفير المغرب ، والاستاذ احمد بنلمليح سفير المغرب فى القاهرة خلال وفاة الزعيم الريفى . وطلبت من جميع هذه الشخصيات آراءها فى البطل المغربى وفى الحرب التحريرية التى قادها .

فشكرى الجزيل الى جميع الشخصيات والمواطنين الذين تفضلوا بابداء آرائهم وباعطاء معلومات فى الموضوع .

واشكر بالخصوص الرئيس الجليل علال الفاسى ، الذى ناضل بجانب البطل محمد عبد الكريم فى القاهرة بالتفضل بتقديم هذا الكتاب .

هذا وسوف اكون اول مغربى يؤلف كتابا كاملا عن محمد بن عبد الكريم الخطابى ، لهذا حرصت فى تحريره على ان يكون تحليل الاحداث علميا الغرض منه تنوير القارىء بكل نزاهة عن هذا البطل المغربى الفذ الذى كتب صفحة ذهبية من المجد والعز فى تاريخ المغرب .

سلا / 14 ماى 1968 **محمد العلمى**

الثورة

1. 16.000 قتيل في أنوال
2. الحكومة الريفية
3. ديبلوماسية تكافح مؤامرات
4. استسلام القائد

16.000 قتيل في أنوال

توجد سلسلة جبال الريف فى شمال المغرب الاقصى ، وقد استعصى على جميع الغزاة منذ القدم احتلال هذه المنطقة . لهذا لم يستطع الرومان او البرتغاليون او الاسبانيون التوغل فى هذه المناطق خلال التاريخ ، وحتى العثمانيون الذين وصلوا الى الجزائر فضلوا الابتعاد من الريف ومن المغرب الاقصى كله خوفا من ردود فعل القبائل المتشبثة بمبادىء الحرية . ولم تتوصل الجيوش الاسبانية والفرنسية الى احتلال الريف الا بعد حرب ضروس وتضحيات انسانية ومادية مرتفعة .

ان قبائل «الريف» و«جبالة» تتكون من الاهالى الاصليين للمغرب الذين يحتفظون بلهجاتهم التى كانوا يتكلمون بها منذالقدم وقبل انتشار الاسلام فى افريقيا الشمالية ، وبعد تولى ادريس الاول الحكم فى وليلى ، اتصل بعض العرب بقبائل «جبالة» التى دخلت الى الدين الجديد واصبحت اللغة العربية لغتها . اما القبائل القاطنة فى الجبال الشاهقة ، فقد احتفظت بالرغم من جهود الشرفاء لتعريبها بلهجاتها الاصلية . ومن هذه القبائل البربرية غمارة وصنهاجة وزناتة . وان رجال الريف وجبالة شقر ولهم عيون زرقاء ولونهم ابيض ، اصحاب ذكاء ورقة ، اشتغلوا خلال التاريخ بالزراعة والصيد يعتبرون جنودا لا مثيل لهم ، لا يقبلون سلطة غير التى وضعوها فى يد الذى من انتخبوه ليمثلهم امام نواب السلطة المركزية .

لم يدخل الاسلام الى الريف بالقوة ، وانما دخل بالاقناع . ورغم

قوانين الاسلام ، احتفظت القبائل الريفية بتقاليدها وعاداتها ، وظلت تعيش فى حالة تفكك سياسى فوضوى ، وعملت المؤسسات البدائية التى انشأتها القبائل على رفع لواء المساواة ، وقد كانت النزاعات بين القبائل التى دامت قرونا عدة تؤدى فى بعض الاوقات الى اضمحلال قرى بأكملها ، وعززت هذه الظاهرة الجانب الابوى عند اهل الريف . فتأسس «الخمس» من عدد من الجماعات او «تارفيقت»(1)، وكانت كل جماعة مستقلة عن الاخرى مستعدة ان تنعزل على اثر اتفه نزاع . وكان يحكم كل «تارفيقت» عجوز مسن يسمى «امغار» او «رئيس» تنازع كثيرا خلال حياته . وكان تفاهم هذه الجماعات من كل قبيلة لا يدوم كثيرا ، واقصى ما توصلت اليه الجماعة هو ان تلتزم بعدم القتل والنهب خلال بضعة اسابيع ، وكان «الاغراو»(2) وهو اجتماع رجال القبائل بأسلحتهم للحضور فى وقت محادثات الرؤساء كثيرا ما ينتهى باشتباك عام لا يخرج منه سالما اى «امغار» .

وقد ظهر اولياء الله فى منطقة جبالة حيث استطاع السكان ان يعيشوا جنبا الى جنب وان يؤسسوا قرى. وكان اصل كثير من هؤلاء الشرفاء مشكوكا فيه ، وقد عاشوا منعزلين فى مناطق بعيدة عن القرى ، وكان مستواهم الفكرى اكثر بقليل من القبائل الامية ، يعيشون بواسطة التبرعات والزكاة التى يتوصلون بها من السكان ، وهكذا اسس هؤلاء الشرفاء ارستقراطية صغيرة تقوم بدور الحكم لدى القبائل . وعند ما تكون سلطة السلطان قوية ، يلعب هؤلاء الشرفاء دور الوسيط بين السكان وبين «القواد» والباشوات . وقد ابدوا دوما ولاءهم للحكم المركزى ، ولكن سلطتهم تتعزز كلما سادت الفوضى (3) القبائل ، فتراهم خلال هذه الفترات يعملون بحرية ويؤسسون شبكة من المراكز للسيطرة على القبائل وذلك بالقرب

---

(1) تعبير بربرى معناه الفرقة ، الفريق .

(2) كلمة بربرية تعنى الاجتماع ، المؤتمر .

(3) عرفت فى المغرب قبل 1912 فترات تكون القبائل خلالها ثائرة ضد الحكم المركزى . وهكذا اطلق فى عهد الحماية على المنطقة الخاضعة لسلطات الحماية تعبير «بلاد المخزن» وعلى المنطقة الثائرة تعبير بلاد السيبة .

من «الزاوية» التي شيدت بجانب قبر جدهم. هكذا استطاع الشرفاء «الحمالشة» السيطرة على صنهاجة ، وتعزز نفوذ اولاد البقال ودرقاوة عند قبائل بني زروال ، واسس شرفاء وزان مراكز في سنادة عند قبيلة بقويا ، وعند قبيلة بني يطاف وفي ايشوكين عند «الغمارة» ، واسس الشرفاء الادارسة «زاوية» في جبل مولاى عبد السلام ، ومن هؤلاء الشرفاء الذين اشتهروا في بداية القرن العشرين احمد الريسولى وابنه عبد السلام الريسولى . قام الشرفاء بدور هام في الريف ، ولكن اسلوبهم قتل حياة السكان السياسية الحرة حتى انه عند ما يستطيع رئيس عائلة ان يسيطر على قرى مجاورة ويصبح «امغار خمس» بأجمعه ، يبقى الخادم الامين للشرفاء حماة الدين . وقد لاحظ «روبيو مانطيني» ان سيطرة الشرفاء غير هامة في قبائل غمارة وبني بوفراح ، وبني غميل ، والمسطاسة والغزناية ؛ وبني عمرت ؛ حيث استطاع بعض صغار الرؤساء اطلاق العنان ، لمطامحهم خلال بضعة سنين .

ظهور عائلة الخطابي في الريف

أما عائلة الخطابي فيقال انها من اصل عربي استوطنت في الريف عند قبيلة بني ورياغل ، وقد لعب عبد الكريم الخطابي الاب دورا هاما في الريف ، وكان من بين الشخصيات التي سطع نجمها في الوقت الذي كان فيه عبد السلام الزرهوني المعروف بلقب «بوحمارة» ثائرا في الريف ضد السلطان .

فقد حارب عبد الكريم الخطابي الاب «بوحمارة» الذي تمرد على السلطان بدافع من المصالح الاجنبية ، فتغلب الزعيم الريفي على «بوحمارة» في سلوان وفرض عليه الفرار من الريف والالتجاء عند «الشلوح».

وفي هذا التاريخ ، كانت فرنسا تحتل الجزائر وتونس وتحاول احتلال المغرب ، ولكن بريطانيا واسبانيا عارضتا هذا الاحتلال . ففي سنة 1844 ، هاجم الماريشال «بوجو» في اسلي الجيوش المغربية ، وكان باستطاعة الجيوش الفرنسية التوغل في الاراضي المغربية ، ولكن بريطانيا لم توافق على هذا التوغل . ومنعت بريطانيا ايضا اسبانيا سنة 1859 لما احتلت تطوان من التوغل في منطقة الريف . وكانت اسبانيا تحتل في هذا التاريخ مدنا

مغربية توجد على الشاطىء مثل سبتة ومليلية والجزائر الجعفرية فى شمال المغرب ، وفى الجنوب كانت تحتل الساقية الحمراء ووادى الذهب وافنى . وكانت بريطانيا تحتل جبل طارق وذلك حتى سنة 1704، وتستعد لفرض احتلالها على كل بلد يمثل مصلحة بالنسبة لاقتصادها . اما رغبة اسبانيا فى احتلال الريف، فكان مرجعها ، كما قال كثير من المؤرخين ، الانتقام من العرب الذين احتلوها خلال سبعة قرون وضمانة ضد هجوم الاسلام على المسيحية فى اسبانيا .

فى هذا الجو ولد محمد «ولد» (1) عبد الكريم الخطابى سنة 1882 بقرية اجدير القريبة من مدينة الحسيمة الواقعة على شاطىء سلسلة جبال الريف .

وقد اشتهر محمد شهرة كبيرة فى جميع المحافل الدولية وتحدثت صحف العالم باعجاب عن الحوادث التى كان بطلا لها فى «الريف» .

كان والده قاضيا من قبيلة بنى «ورياغل» الاشاوس حيث ينتسب ، كما راينا الى عائلة تتمتع بالنفوذ منذ القدم . وقد امضى محمد طفولته فى اجدير وزار عدة مرات مليليا التى كانت اسبانيا تحتلها ، وذلك بمرافقة والده الذى تفتحت عيناه الى العالم الخارجى وشعر بعد اوفاق 1906 فى الجزيرة الخضراء ان المملكة المغربية ستخرج حتما من عزلتها السياسية بالنسبة للدول العربية وتربط معها علاقات متينة ، فقرر تعليم نجليه مُحمد ومحمد اللغة الاسبانية وتوجيههما نحو دراسة الثقافة الغربية ، وهكذا ارسل ابنه الصغير الى مدرسة المعادن بمدريد حيث تخرج منها مهندسا. بينما دخل محمد الى جامعة القرويين بمدينة فاس (2) سنة 1905، وانهى دراسته الفقهية فيها سنة 1909 . وقد اهتم خلال مقامه فى فاس بتتبع سياسة الدول الغربية الاستعمارية نحو المغرب وعاش مع الجمهور

---

(1) يستعمل سكان الريف وبعض المناطق المغربية الاخرى «ولد» بدل «ابن» ، هذا وقد اشتهر باسم ابيه عبد الكريم .

(2) فى يوم 3 اكتوبر 1904، وفى يوم فاتح سبتمبر 1905 تم توقيع اتفاقيتين سريتين بين فرنسا واسبانيا حول تحديد نفوذهما فى المغرب.

الفاسى والطلاب ايام القلق عن مصير البلاد ، فشاهد «بوحمارة» فى القفص فى فاس وعاش الاحداث التى ادت الى سقوط مولاى عبد العزيز .

وبعد عودة محمد من فاس الى اجدير ، قدمه والده الموظف بالادارة الاسبانية الى ضباط اسبانيين ، ولما عرفوا انه يتحدث الاسبانية وقليلا من الفرنسية عرضوا عليه وظيفا ، فقبل محمد واشتغل مدرسا بمليلية ثم مترجما فى مكتب الشؤون الاهلية بنفس المدينة حيث حصل بسرعة على تقدير السلطات العسكرية الاسبانية . فكان مفيدا لها نظرا لنفوذ عائلته فى هذه المنطقة من «الريف» ، ونظرا لثقافته ومواهبه الدبلوماسية ، فقد اصبح رجل الثقة بالنسبة للكولونيل «موراليس» ، رئيس قسم الاستعلامات وتعرف على زعماء القيادة العامة الاسبانية مثل الجنرال «جوردانا» والجنرال «بيرانغير» ، واهتم بالتنظيم العسكرى والادارى فى المنطقة المغربية الخاضعة لاسبانيا وبطرق الاحتلال والاستعمار التى كانت تستعملها حكومة مدريد.

وقام محمد بأعمال شتى فى مختلف الميادين وكتب فى بعض الصحف مثل صحيفة «تلغراف الريف» مقالات مؤيدة لاعمال اسبانيا فى شمال المغرب . وفى سنة 1914 ، بعد سنتين من فرض نظام الحماية الفرنسية على جنوب المغرب ونظام الحماية الاسبانية على شماله ، اصبح محمد قاضيا على منطقة مليليا وهو المنصب الذى شغله والده من قبل ، وهكذا بدا عمله السياسى باتصالات واسعة النطاق مع سكان الريف . وفى هذه الظروف بالذات قامت الحرب العالميـة الاولى واخذت صحف كـل من المعسكرين المتحاربين تقوم بحملة دعائية ضد الآخر ، فهكذا ، اتصل عملاء المعسكر الالمانى النمساوى الهنغارى بالوطنيين فى المغرب . فوطدت هذه الحوادث عواطف المغاربة فى افريقيا الشمالية وجعلت النخبة تفكر بجد فى وضع خطة لتحرير الوطن من السيطرة الاستعمارية ، وهكذا اتصل عبد المالك ، حفيد عبد القادر، عدو فرنسا ، بمحمد عبد الكريم وتوطدت علاقاتهما لا سيما وان اسبانيا كانت محايدة فى الحرب العالمية الاولى ، ولم تقلقها اتصالات الزعماء الجزائريين باخوانهم المغاربة . وقام العملاء الالمانيون بالمغرب بنشاط متزايد لدفع رؤساء القبائل الى ثورة ضد فرنسا . فجاءت غواصات المانيا

ووقفت فى شواطىء الجزائر وسلمت العتاد لبعض رؤساء القبائل المغاربة والجزائريين . وهكذا استطاع عبد المالك ان يقوم بحركة ضد فرنسا وقد ساندها المعسكر الالمانى ، فأصبح العداء لفرنسا عاما فى افريقيا الشمالية لا سيما وان العملاء الالمانيين عرفوا كيف يغذوا هذا العداء . وفى هذه الظروف اتصل الاخوان «مانيسمان» المهندسان الالمانيان بعائلة عبد الكريم الامر الذى جعل السلطات الاسبانية تتخوف من قيام حركة ثورية مثل التى قام بها عبد المالك فى الجزائر ، وعند اتصال فرنسا بالحكومةالاسبانية لجعل رؤساء القبائل فى الريف تحت مراقبة شديدة ، كانت مدريد مستعدة لذلك ، وكانت السلطات الاسبانية فى الريف تعرف ان محمد عبد الكريم يعارض اسلوب القادة العسكريين الاسبانيين فى اتصالاتهم مع القبائل . فقد كانت الجيوش الاسبانية تعامل الاهالى بكيفية سيئة تعتقد انها فى بلد احتلتها بقوة السلاح ولا تحترم كرامة رجال القبائل الريفية الغيورين على عزتهم وحريتهم . ويقال ان السلطات الاسبانية ، خوفا من محمد عبد الكريم ، كانت تعطيه وعودا بتنصيبه خليفة السلطان فى تطوان ، لهذا استطاعت ان تجعل معارضته تنحصر فى توجيه الاحتجاجات الى القادة الاسبانيين . وقد كان الجنرال سلفيستر يستشير معه بخصوص الاتصال مع رؤساء القبائل الريفية ، وحدث مرة ان محمدا رفض مهمة كلفه بها الجنرال سيلفيستر الذى ثار ودفعه غضبه الى صفع الشاب الريفى . ويقول محمد عبد الكريم فى هذا الموضوع ان الجنرال «سيلفيستر» كان يعتقد ان احتلال الريف لا يتم الا بقوة السلاح بينما بدا ان الطرق الدبلوماسية اكثر فائدة . فقد حاولت اقناعه خلال محادثة طويلة انه من الخطأ استعمال القوة فى الوقت الذى يمكن الوصول الى الهدف بالوسائل السلمية ، فاقترحت عليه ان آتى له برئيس الثوار مقابل مائة الف بسيطة تدفع للقائد الثائر . وعند ذكر هذا القدر من المال ، وهو اقل من الذى منح لبعض الشخصيات لشرائها ، قفز الجنرال وشتمنى باللص وصفعنى.

وقد القى القبض على محمد عبد الكريم وسجن فى قلعة «كباليريزاس» فى مليلية(I) وذلك لانه رفض اوامر السلطات الاسبانية، وقد حاول الهروب من السجن وقفز من جدار عال فتكسر ساقه الايمن ، ومن هـذا الحادث اصبح يعرج ، فمسكته السلطات الاسبانية ووضعته ثانية فى السجن حيث قضى احدى عشر شهرا ، ولما اطلق سراحه ، ذهب الى اجدير ومكث فيها بجانب عائلته ولما انهزم الالمان على يد الحلفاء (روسيا ، صيربيا ، فرنسا ، بلجيكا وبريطانيا) ثم طرد العملاء الالمان من المغرب وعم القلق لدى رؤساء القبائل الريفية الذين راوا فى انهـزام الالمـان حادثة تجعل المستعمرين الفرنسيين والاسبانيين يسيطرون اكثر على المناطق التى يحتلونها ويطبقون فيها قانون الغالب لان المانيا لم تبق تعارضهم ومع ذلك لم تتأثر علاقات عائلة الخطابى باسبانيا ، التى كانت جيوشها تحارب الريسولى وجماعته فى ناحية العرائش ، كما كانت الجيوش الفرنسية فى نفس الوقت تحارب القبائل الثائرة ضدها فى منطقة نفوذها .

وجعلت جميع هـذه الحوادث عبد الكريم يفكر فى مستقبل ابنائـه وشعبه داخل هذا الجو حيث توطدت شوكة المستعمر وسيطرته وحقـده على المغاربة . وتيقن محمد واخوه محمد وهما دون الاربعين سنة انه لا مستقبل لهما مع اسبانيا وانه لا يمكن لهما فى هذا الزمن ان يكونا الا عميلين لاسبانيا او ثائرين ضدها لان كل المرونة التى ابدتها عائلتهما مع السلطات لم تجعل اهل الريف ينجون من الاذى الاسبانى ويكونون اسيادا واحرارا فى وطنهم ، كما كان اجدادهم ومع ذلك ، لم يقوما بأى عمل لان والدهما المسن ذا التجارب الكثيرة والثقافة الواسعة لم يقل كلمته النهائية فى الموضوع .

(I) مدينة مغربية تقع فى شمال المملكة لا تزال تحت سيطرة اسبانيا مثل سبتة ، والجزائر الجعفرية وافنى ومنطقة وادى الذهب فى جنوب المغرب . اما موريطانيا ، فانفصلت عن المملكة واصبحت دولة من اعضاء هيئة الامم المتحدة .

وفى يوم 15 اكتوبر 1920 دخل الجنرال «برانغيز» الى الشاون دخـولا رسميا على راس الجيوش الاسبانية ، فراى اهل الريف فى هذا الحادث مغزى خاصا واعتبروا انه بامكان الجيوش الاسبانية ان تدخل حتى الى مساجد المسلمين مهما انهـا سمحت لنفسها الدخـول الى مدينة الاولياء والصالحين ، وفى هذه الظروف وبسبب الدافع الدينى قرر عبد الكريم الخطابى وهو شيخ هـرم محاربة اسبانيـا بالسلاح فجمع بعض رؤساء القبائل الريفية ، وهرب ابنه محمد المهندس من مدريد حيث كان البوليس يراقبه والتحق بأجدير ، وهكذا هجمت جماعة من اهل الريف بقيادة عبد الكريم الخطابى على معسكر «تافرسيت» الاسبانى ، ولقى حتفه خلال هذا الهجوم .

وبفضل محمد طهان الذى كان له نفوذ كبير لدى القبائل التى اقتنعت بمزايا القائد الجديد ، حل محمد محل ابيه على راس «بنى ورياغل» واصبح روح الثورة الريفية . وقد اقيمت جنازة لعبد الكريم الخطابى حضرها بعض ممثلى قبائـل الريف التى انضمت فيما بعد الى الثورة ، ضد الاحتـلال الاسبانى . واخذ المجاهدون يقلقون الاسبان بهجوم من حين لآخر بينما اخذ محمد ولد عبد الكريم ينظم القيادات الثورية فى القبائل. وفى 21 يوليوز 1921 بدت للعالم قوة ثورة الريف حين هجم المجاهدون على مركز انوال وعددهم لا يتعدى بضعة آلاف على راسهم محمد عبد الكريم .

من انوال ، امـر الجنرال سلفيستر الجيش الاسبانى فى المراكـز الامامية بالهجوم على المجاهدين ، فانتصر ، ودفعه الانتصار على المجاهدين الى التفكير فى الهجوم على مدينة الحسيمة ، وقبل الوصول الى ذلك استطاع احتلال مركز «ظهر ابران» (1) الذى كان بيد المجاهدين ، وكان هذا المركز يمثل اهمية استراتيجية ، ولكن احتلاله ادى الى نشر اخبار كاذبة فى صفوف قبائل الريف جعلت عائلـة الخطابى فى موقف حرج ، وبالتالى حصلت الجيوش الاسبانية على قوة معنوية ، ولو اقدمت خلال هذه الفترة على متابعة

---

(1) جبل بتمسمان يشرف على البحر الابيض المتوسط امام القبائل المجاورة لتمسمان .

هجومها لانتصرت فى الريف ، وقد شعر محمد عبد الكريم بهذا الخطر الداخلى والخارجى ، فقرر القيام بهجوم جنونى للحصول على انتصار كبير ولو يؤدى ذلك الى القضاء على الثورة الريفية فى حالة الفشل . فحاول استرجاع «ظهر ابران» وذلك بالهجوم على الجيش الاسبانى بواسطة خمسمائة من المجاهدين، وكان الاسبان مستقرين فى راس هذا الجبل مطمئنين بسبب انتصارهم لا يفكرون فى القيام بأعمال الدفاع . ولما راوا المجاهدين اخذوا يطلقون الرصاص بصفة فوضوية . وكان المجاهدون لا يتوفرون على اسلحة نارية كثيرة ، فاستعملوا السلاح الابيض خلال هذه المعركة وقد انتصر محمد عبد الكريم فى هذه المعركة الكبرى الاولى ضد الجيش الاسبانى الذى ترك عتادا حربيا هاما استعمل كنواة عصرية للجيش الريفى . وفقد العدو فى هذه المعركة مئات الجنود ، فانتشر خبر استرجاع «ظهر ابران»، وجاءت القبائل الريفية المترددة عند محمد تطلب المحاربة بجانبه . هكذا استطاع الزعيم الريفى ان يجعل فى خدمته ثلاثة آلاف رجل مستعدين لكل شيء وذلك خلال بضعة اسابيع . فلم يرتكب خطأ الجنرال سيلفيستر الذى رمى بنفسه فى مغامرة وذلك لان قواته الجديدة لم تكن منسقة . لقد شرع محمد فى بناء المواقع الدفاعية وتنظيم الجيش الريفى واختيار قادة عسكريين محنكين ، واقام مركزا للمقاومة فى حالة ضرورة الرجوع بين «سيدى ادريس» (تمسمان) و«تيزى عزا» (بنى توزين) ، لم يكن محمد متسرعا ، فقد اخذ ينتظر ساعته . اما الجنرال سيلفيستر ، فكان يعتمد على تفوقه العددى ، وقد ارسل الى المجاهدين انذارا وهاجم «بويان» ، فهزم الجيش الاسبانى ثانية واستطاعت القبائل ان تستولى خلال هذه المعركة على عتاد كثير . فقرر محمد عبد الكريم بعد هزيمة الجيش الاسبانى الثانية القيام بهجوم قوى على القيادة العامة للجنرال سيلفيستر فى انوال ، وفى اوائل شهر يوليوز 1921 ، قطع الزعيم الريفى خطوط التموين الاسبانية وهدد الجيوش الاسبانية بالجوع . وكان المجاهدون يحتلون جميع المراكز الاستراتيجية المحيطة بأنوال واخذوا بأمر من زعيمهم يوجهون مياه الجبال نحو المنطقة التى تحيط بالقيادة العامة الاسبانية فى انوال . فترتب عن ذلك وحل جعل الجنرال سيلفيستر يتخذ قرار محاربة

المجاهدين باستعمال جميع جيوشه للخروج من المأزق . وكان عدد هذه الجيوش تسعة عشر آلاف رجل تتوفر على عتاد كثير وخمسين مدفعا ثقيلا

كان الجنرال سيلفيستر عسكريا محدود التفكير ، فلما عاد هاربا من «ايغريبين» عاد الى انوال وكان يعتقد انه يستطيع الرجوع الى مليليا بعد خمسة ايام فى محاربة المجاهدين الذين لم يكن عددهم يتعدى خمسة آلاف رجل . وقد استطاعوا تطويق انوال وحاول الاسبان الخروج من المأزق ولكنهم لم يحققوا هدفهم ، فرفعوا علما ابيض يطلبون من الزعيم الريفى ارسال مفاوضين . فأجاب ستون ريفيا على طلب الاسبان وذهبوا الى مركز الجنرال سلفيستر بدون سلاح ، وعند ما دخلوا الى القلعة اقفلت الابواب واطلق عليهم الرصاص لانهم ثوار . فكان الاثر المتوخى عكس ما كان يتمناه الاسبان ، واجتاحت موجة من السخط صفوف المجاهدين ادت الى هجوم حماسى عجل بسقوط انوال . وكان انتقام المجاهدين لاخوانهم الذين قتلهم الجنرال سيلفيستر بدون شفقة ، فقتل 16.000 عسكرى اسبانى فى انوال بما فيهم ضباط القيادة العامة وانتحر الجنرال سيلفيستر بعد ما ارسل اوسمته مع يأوره وجماعة من الجنود الى مليلية ، واسر المجاهدون عدة مئات من الجنود الاسبان ، الذين ارهبهم منظر آلاف الجثث الاسبانية المشتتة فى ارض المعركة . واستولى المجاهدون على عتاد كثير : مائة وخمسين مدفعا ثقيلا من فئة 65 و75 و77 وخمسة وعشرين الفا من البندقيات وعشرة ملايين من الرصاص والقنابل وتموين ضخم من المواد المختلفة ، وبعد اسبوع قضاه محمد عبد الكريم فى تنظيم شؤون جيشه فى انوال ، هاجم الجنرال «نفارو» فى «جبل العروى» ، فسقط الجنرال الاسبانى حيا فى يد المجاهدين وقتل عدد كبير من الجنود الاسبان . وقد قامت جميع القبائل تتابع الهاربين الاسبان الذين نجوا من الموت فى المعركة وانتقمت من مظالم الجيوش الاسبانية التى كانت تقتل الريفيين دون محاكمة وتمس شرف نسائهم وبناتهم اشرة الرعب فى النفوس. وفى شهر اغسطس اضمحلت سيطرة اسبانيا على الريف ، ولم تبق بيدها الا مليلية وسبتة والجزائر الجعفرية وبعض المراكز القليلة الاهمية . فأصبح محمد عبد الكريم سيد الريف ، ووطد هذا النصر الباهر نفوذه فى الداخل والخارج واصبح العالم يهتم به لا سيما وان الصحافة العالمية اخذت تكتب عنه كثيرا وترسل اليه كبار الصحافيين لاستجوابه ، وقد نعتت الدول الغربية بطل الريف بعد معركة انوال بلقب «نابوليون الريف».

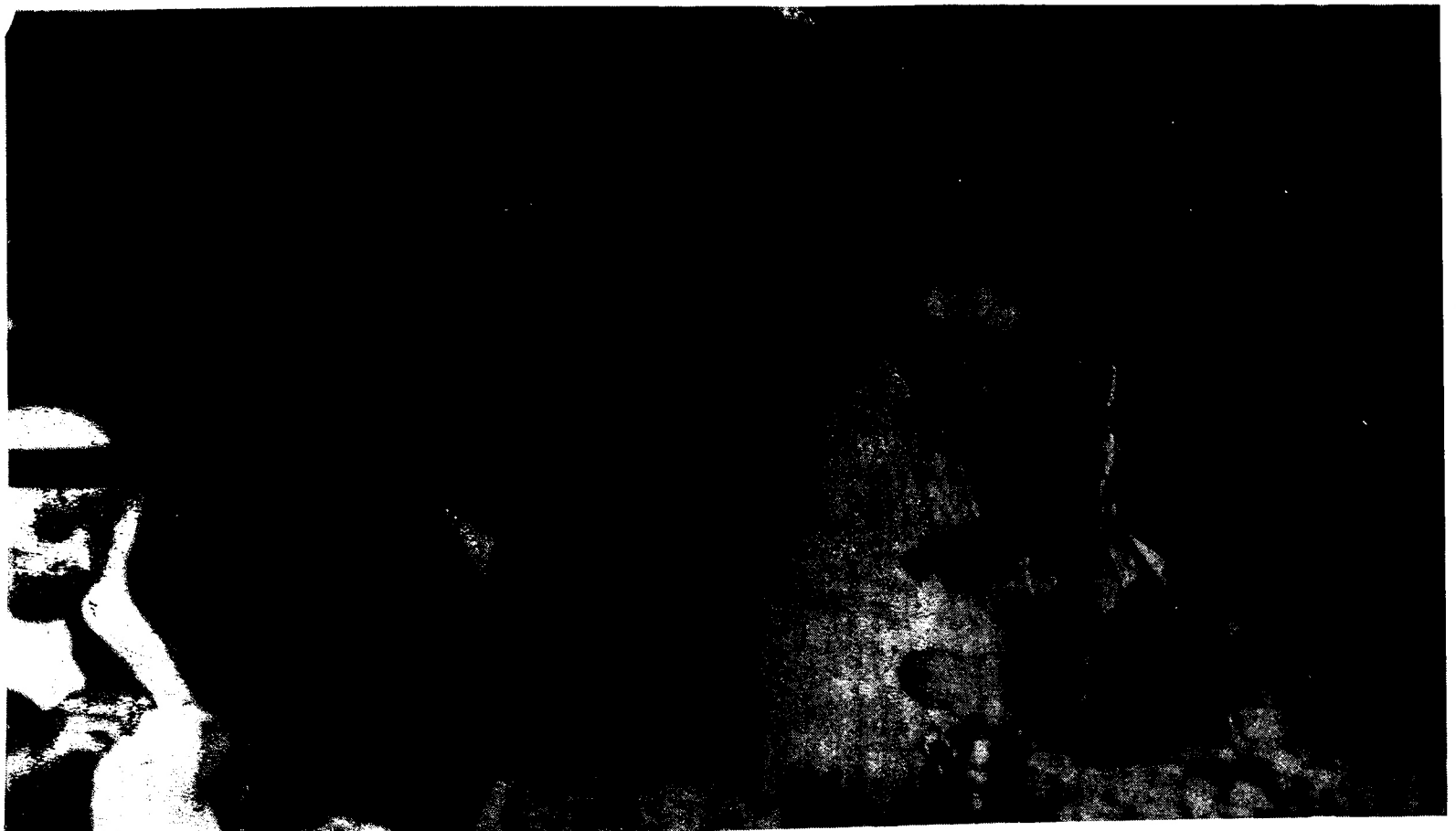

محمد عبد الكريم يلقى خطابا فى حفلة عيد العرش المغربى بالقاهرة ووراءه الزعيم علال الفاسى ومن حولهما وزراء مصر والدول العربية ، وفى اليمين واقفا عبد الكريم غلاب .

الحكومة الريفية

انقسم المغرب الى جزئين سنة 1912 كما هو معلوم ، فرضت الحماية الفرنسية على الجنوب والاسبانية على الشمال وجعلت الاحداث محمد عبد الكريم يفكر فى قيادة كفاح الشعب المغربى للحصول على الاستقلال . فقرر تأسيس حركة فى شمال المغرب كمرحلة اولى فى هذا الكفاح ، لما تعزز اركانها وتقضى نهائيا على التدخل الاسبانى توجه كفاحها لجنوب المغرب لتحريره من سيطرة الفرنسيين .

هذه هى الفكرة التى خالجت صدر محمد عبد الكريم ، وقد كانت تخالج صدر الكثير من المغاربة فى ذلك الزمان ، وكان يعرف ان العلماء جميعا والمغاربة سيؤيدون جهادا من هذا النوع ولا يستطيع اى مغربى ان يخرج على هذه الخطة والا سيكون خائنا لبلاده .

لهذا ، عند ما جاء الرئيس الفرنسى ميليران الى فاس ، حاول محمد عبد الكريم مقابلته لشرح غاياته من الكفاح الذى يقوم به فى شمال المغرب، ولكن الرئيس الفرنسى لم يرد استقباله . وذلك لان فرنسا كانت تعتقد منذ اعلان ثورة الريف ان محمد عبد الكريم يمثل خطرا عليها كما يمثله على اسبانيا ، وان السابقة التى سوف يحدثها اذا ما انشأ دولة فى شمال المغرب ، ستؤدى الى عواقب وخيمة فى البلاد المستعمرة التى ستقوم حتما بمحاولات لتحرير نفسها كما تحرر الريف من السيطرة الاسبانية الاستعمارية ، لهذا اتبعت فرنسا سياسة التضامن مع حليفتها اسبانيا

ووضعت خطة للقضاء على ثورة الريف ، واتبعت فى نفس الوقت سياسة مخادعة مع الزعيم الريفى جعلته يعتقد انها فى حياد تجاه الحرب الريفية الاسبانية .

وقد كان انتصار انوال على الجيش الاسبانى حادثا حاسما فى ثورة الريف دفع بمحمد عبد الكريم الى تنفيذ مشاريعه لا سيما وان الحكومة الاسبانية اخذت تنظر نظرة جد الى حوادث المنطقة التى تحتلها فى المغرب. واجتاحت موجة من السخط جميع الاوساط الاسبانية ضد الحكام المسؤولين عن هذه الهزيمة الكبرى التى اعتبرت بمثابة نكبة وطنية . وفى هذا التاريخ ، كانت عدة احزاب شيوعية فى طور التأسيس فى اوربا، فلم يكن مر على ثورة اكتوبر 1917 فى روسيا الا بضع سنوات . وقد رات هده المنظمات ان من واجبها تأييد ثورة وطنية مثل ثورة الريف رغم جهل القيادة الشيوعية تفاصيل عقيدة زعيم الريف وسياسته ومشاريعه .

ورات الحكومة الفرنسية فى انتصار انوال فشل الحكومة الاسبانية فى الحفاظ بمنطقة شمال المغرب التى تكلفت بحمايتها وفقا لاتفاقية دولية، واخذت تسرع فى استعدادها للقضاء على ثورة الريف لا سيما وان الحرب العالمية الاولى قد انتهت وكانت فرنسا من بين المنتصرين ذوى النفوذ فى الحقل الدولى . واعتبرت الحكومة البريطانية التى كانت ملتزمة باتفاق مع فرنسابخصوص مصر وافريقيا الشمالية انه منالمنطق تأييد فرنسافىسياستها تجاه الريف مع تتبع تطور الاحداث واتخاذ التدابير الملائمة اذا دعت الضرورة الى ذلك . واكتفى الاتحاد السوفياتى بتأييد ثورة الريف من الناحية المعنوية لانه كان منهمكا فى تنفيذ برامج داخلية لم تكن تسمح له باتباع سياسة النضال مع الحركات التحررية فى افريقيا الشمالية .

فى اطار هذه الحالة الدولية اخذ محمد عبد الكريم ينظم شؤون الريف . وفى اغسطس 1921 ، اعلن عن تأسيس الحكومة الريفية وجعل اجدير مقرا لها ، واسندت له رئاستها . كما اسند الى اخيه محمد نيابة رئاستها وعين عمه عبد السلام الخطابى وزيرا للمالية ومحمد ازرقان زوج اخته وزيرا للخارجية واحمد بودرة وزيرا للحربية ومحمد بن

عمار عبد الله التمسمانى وزيرا للعدل والشيخ اليزيد بن عبد السلام وزيرا للداخلية . واسندت مناصب هامة فى الحكومة الى محمد بوجيبار ومحمد ولد الحاج الشادى ، والقائد علوش ، ومحاند بن حدو سيزيان ، والقائد حديدان ومحمد محمدين والقائد الصديق ومحد بن قريان امغار ومحمد بن قيشوش وحمو بن الحاج وبن على الملقب بالفقيه بولحية والقائد حدو ولحسن ابن عبد العزيز التلمسانى الصحافى السابـق فى جريدة «لسان الدين» الصادرة فى الجزائر . وهكذا تأسست الحكومة الريفية واغلب اعضائها من قبيلة بنى ورياغل .

كانت القبائل الريفية تحترم آل الخطابى لما اشتهروا به من جهاد لتحرير المغرب من سيطرة المسيحيين . كانت هذه القبائل ولا تزال الى يومنا هذا تعيش من تربية المواشى ومن الزراعة ولا سيما من التين والزيتون والحشيش المعروف فى المغرب باسم «الكيف» . وكانت هذه القبائل لا تعرف كثيرا عن الحالة فى المغرب وتجهل كل شىء عن العالم الخارجى . وكان اكثر الريفيين اميين ولكن اسلامهم متين يحترمون الفقهاء وعلماء الدين المتخرجين من جامعة القرويين فى فاس مثل محمد عبد الكريم الذى اعربوا له عن طاعتهم وولائهم ما دام يدافع عن حرمة الدين والوطن . فمن اجل هذا الهدف انضمت القبائل الى الثورة .

وقد اهتم محمد عبد الكريم اهتماما خاصا بشؤون الجيش الريفى ، فاتصلت الحكومة الريفية بقبائل جبالة التى اعلنت ولاءها لزعيم الريف وتم الاتصال ايضا بقبائل الريف الاخرى : بنى بقيوا وبنى مستارة وبنى زروال وصنهاجة وبنى يطفت وبنى بوفراح والغزناية وتمسمان وبنى توزين. وتأسست القيادة العامة للقوات الريفية برئاسة محمد اخ الرئيس الريفى، وضمت قيادات عسكرية برئاسة خريرو من جبالة وهو مجاهد ذو قيمة كبرى وقد سبق ان حارب الاسبانيين بجانب الريسولى ، وشعيب نموح من تمسمان وحدو اومحند امزيان من بنى ورياغل ومحمد حميش من بنى ورياغل والقائد بوحوت الملازم سابقا فى الجيش الاسبانى ، وعمل تحت امرة هؤلاء عدد من كبار المحلات المساعدين وقواد المائة والخمسين والخمس والعشرين.

وكلما اعلن التجنيد العام الذى كان يعرف عند السكان بتعبير «الحركة الى حد الصيام» ، كانت القبائل تختار بنفسها المجاهدين وترسلهم الى «كبار المحلات» وكان كل رجل اختير للمحاربة فى جيش الحكومة الريفية يأتى ببندقيته ورصاص كثير واكل يكفيه لبضعة ايام . وعند ما يكون التجنيد جزئيا ، فان القواد والباشوات هم الذين ينظمونه وتكون تعليماتهم شفوية .

وكان «كبار المحلات» يعاقبون كل مجاهد ارتكب خطيئة ويستطيعون سجنه خمسة عشر يوما او ارساله الى محاربة العدو وتركه فى الجبهة بضعة ايام اكثر من زملائه . واذا كان الامر يتعلق بجريمة خطيرة ، فكانت الحكومة الريفية تقرر فى موضوعها ، وقد شيدت سجنين لذلك ، واحدا فى اجدير والآخر فى تاخنوست .

وقد قسمت القوات الريفية الى قسمين : قوات نظامية وقوات تجنيد تجمعها القبائل كلما دعت الضرورة الى ذلك . وضمت القوات النظامية ما يقرب من 2.500 رجل منها رجال الحرس الخاص بمحمد عبد الكريم وعددهم مائة وخمسون رجلا يتراسهم القائد حديدان وجميعهم من قبيلة بنى ورياغل. ويعرف رجال هذا الحرس بعمامات خضراء على رؤوسهم . ووضعت فى الحسيمة وناحيتها وبعض المناطق المجاورة للبحر الابيض المتوسط مدافع يستعملها ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين رجلا من قبيلة بنى ورياغل او قبيلة بقيوا يرتدون عمامات سوداء . اما المشاة فكان عددهم الفين يعتبرون الاطار السياسى العسكرى للثورة لانهم كانوا يتصلون جماعات او فرادى برؤساء القبائل لاعطائهم تعليمات الزعيم الريفى او اخيه محمد الذى كان يحتفظ بنصف عدد هؤلاء المشاة فى ترغيست حيث كان مقر القيادة العامة للقوات الريفية .

وكان جميع رجال القوات النظامية يتوصلون ببسيطتين اسبانيتين يوميا بالاضافة الى غذاء بسيط . وتتحمل القبائل خلال المعارك غذاء المجاهدين الذى كان بسيطا لا يكلف الحكومة شيئاً . وتكونت القوات المجندة من جميع الرجال القادرين على حمل السلاح اذا كان سنهم ما بين ستة عشر

وخمسين سنة يذهبون الى اجدير او ترغيست لقضاء اسبوع يتعلمون خلاله استعمال السلاح . وقد وصل عدد القوات الريفية سنة 1925 مائة وخمسين الفا منهم ثمانون الفا من قبائل جبالة .

وتم تعيين باشوات على راس المدن الرئيسية فى الريف يعقدون جلساتهم فى «محاكم» . ولا تزال الى يومنا هذا آثار «محكمة» من «محاكم» محمد عبد الكريم فى مدينة الشاون .

وتأسس مجلس نواب كان يتراسه الزعيم الريفى بنفسه ، ويعقد جلساته بأمر من مجلس الوزراء وذلك للنظر فى الشؤون الداخلية والخارجية : وكانت قرارات هذا المجلس بمثابة قوانين يعمل بها فى الريف كله . ووزعت الحكومة الريفية الاراضى على رجال القبائل ، وكان كل فلاح اخذ قطعة ارض يلتزم باستغلالها . واذا لم يفعل كانت الارض تمنح لشخص أخر اكثر استحقاقا . ونصب على راس كل قبيلة قائد مطلق السلطة من الناحية الادارية والعسكرية . وكلف القائد بشؤون الحالة المدنية وفتح دفترا لتسجيل المواليد والوفيات والزواج ، وكلف القائد ايضا بجمع الضرائب ، وهذه الضرائب نوعان : «الضريبه» ويدفعها الى الحكومه جميع اهل الريف باستثناء الفقراء وجرحى الحرب . و«التيجان» وهى ضريبة مفروضة على الثروات . وكان القائد لا يستطيع ان يأخذ من الناس قدرا اكثر من الذى فرضته الحكومة ، وكلف المفتشون ، الذين يعينهم رئيس الحكومة ، والنواب فى مجلس اجدير ، بمراقبة القواد . وكان الزعيم الريفى يعين القواد ويختارهم من بين الابطال الذين ادوا خدمات كثيرة للقضية الريفية. وساعد القواد فى اعمالهم «الشيوخ» الذين كانوا يحكمون جماعات منعزلة من الخيام ، ونظر فى شؤون العدل قاضى القضاة كان مقره فى المحكمة العامة فى اجدير وقد قام بدور المدعى العام . وتراس الجلسات وزير العدل بنفسه بمساعدة خمسة عشر مستشارا كانوا يصدرون الاحكام وكان من حق المتهم ان يختار مدافعا من بين الشخصيات الريفية المعروفة بثقافتها ومواهبها فى الخطابة . وكانت القيادة العامة فى اجدير عبارة عن بيت كبير ابيض اللون طوله خمسة وسبعون مترا وعرضه عشرة امتار تمركزت فيه

جميع مصالح الحكومة . واسست ايضا فى اجدير مصلحة بريد ، وكان «الرقاس» يقوم بمهمة ساعى البريد وهو يستطيع قطع مسافة ستين او ثمانين كيلو مترا كل ليلة ، واذا كان «الرقاس» حاملا رسائل سرية ومسكه العدو ، فكان يحرق الرسائل وينتحر . وسنطرق جانبا آخر عن موضوع البريد فى الفصل المقبل . وطبعت ايضا اوراق بنكية ريفية ،

ويقول علال الفاسى فى كتابه عن «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى فى موضوع مجلس النواب» ان هذا المجلس قد تشكل باسم «الجمعية الوطنية» من جماعات القبائل والاهلين والمشايخ والقواد طبقا للعادة المتبعة فى المغرب الاقصى وكانت هذه الجمعية هى التى تمثل ارادة الشعب وتتولى تنظيم الكفاح وادارة البلاد ، واول اجتماع عقدته كان سنة 1921 ، واول قرار اتخذته هو اعلان استقلال الوطن ، وتأسيس حكومة يراسها محمد عبد الكريم بصفته زعيم الحرب التحريرية . ثم والت الجمعية الوطنية عقد اجتماعاتها فوضعت للبلاد دستورا مبدؤه سلطة الشعب الا انه لم يفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية طبقا لما جرى به العرف الدستورى فى البلاد الديمقراطية ، هو رئيسها ، وواجب كل شيخ وزعيم وقائد من اعضاء المجلس تنفيذ المقررات التى تقرها الجمعية .

ويعتبر الدستور الريفى رجال الحكومة مسؤولين امام رئيس الحكومة وهو وحده المسؤول امام الجمعية العامة ..

وبعد ما اتمت الجمعية الوطنية وضع الدستور شرعت فى وضع ميثاق قومى يصبح المثل الاعلى للشعب يجاهد من اجله ويموت فى سبيله ، ومن مواد الميثاق القومى الذى اقرته بعد عدة جلسات :

1 ـ عدم الاعتراف بأى معاهدة لها مساس بحقوق البلاد المغربية ، وبخاصة معاهدة 1912 .

2 ـ جلاء الاسبان عن المنطقة الريفية التى لم تكن فى حوزتهم قبل ابرام المعاهدة الاسبانية الفرنسية سنة 1912 .

3 ـ الاعتراف بالاستقلال التام للدولة الريفية عن فرنسا واسبانيا .

وانضم الى الثورة بعض العاطفين على الحركة الريفيـة من الانجليز والالمان الهاربين من الجيوش الاسبانية والفرنسية مثل الالمانى «كليمس» والاسبانى «انطونيو» الذى اقام شبكة تلفونية فى اهم مناطق الريف وكون جماعة من الشباب الريفى لتسييرها . ووضعت جماعة من الانجليز محطة راديو للارسال ولاستقاء الانباء فى اجدير . ورفرف علم الحكومة الريفية فى جميع مناطق الريف ، ووشح محمد عبد الكريم صدور كل من يخدم القضية الريفية بالاوسمة الريفية مثل وسام الشرف الاخضر والاحمر اللون ووسام الحرب والوسام العسكرى .

واقامت الحكومة الريفية ادارة جمارك فى مدينة الحسيمة كانت مصدر موارد هامة ومنحت لعائلة «مانيسمان» الالمانية اذن استغلال مناجم الريف .

واستولى المجاهدون على عتاد حربى كثير خلال سنوات الحرب ضد اسبانيا وفرنسا منها بضعة طائـرات وآلات الارسال . واقامت الحكومة الريفية شبكة تجسس فى بعض مدن المغرب الجنوبى ، وقد اصبحت جامعة القرويين مركز الدعاية المؤيدة لثورة الريف . وفى الوقت الذى كان الزعيم الريفى وحكومته متهمكين فى اعمال التنظيم ، كانت القوات الثورية الريفية تشن هجومها على المراكـز الاسبانية تاركـة الرعب فى نفوس العسكريين الاسبان . وقد استطاعت القوات الريفية ان توجه ضربات قاسية للجيوش الاسبانية نظرا لتضامن القبائل المثالى ولكرهها للاستعمار ونظرا لطبيعـة الارض التى دارت فيها المعارك ، فان منطقة الريف كلها جبال شاهقة قد تصل فى بعض المناطق الى الف وسبعمائة مترا فوق سطح البحر تكسوها الثلوج خلال فصل الشتاء والضباب خلال فصل الربيع . وبالاضافة الى ذلك كانت المدن والقرى التى يسيطر عليها المجاهدون محاطة بجبال من المستحيل الوصول اليها بسبب العوارض الطبيعية . فوضعت الحكومة الريفية الذخائر فى مثل هذه المدن ولا سيما فى اجدير وفى ظهر السلوم وفى تازغيست وفى الشاون ، وابلى المجاهدون البلاء الحسن فى محاربة الاسبان واحرزوا

على انتصارات كثيرة ضد الجيوش النظامية العصرية الاسبانية المؤلفة من اكثر من اربعة عشر فرقة بقيادة خمسين من الجنرالات . ولما دخلت فرنسا فى محاربة ثورة الريف تكونت قواتها من احدى عشر فرقة بقيادة اثنين واربعين جنرالا والمشيرين «ليوطى» و«بيتان» .

دبلوماسية تكافح مؤامرات

لما انتهى محمد عبد الكريم من تنظيم شؤون الريف الداخلية ، اهتم بالشؤون الخارجية والدبلوماسية . وهكذا ارسل مبعوثا الى لندن وآخر الى باريس وثالثا الى مدريد للحصول على الاعتراف بالحكومة الريفية بدل امتيازات تمنح للشركات الاوربية للتنقيب عن المعادن فى الريف. وكان محمد بوجيبار مبعوث الحكومة الريفية فى فرنسا وهو يتكلم قليلا اللغة الفرنسية وكان سنه آنذاك ثلاثين سنة . وقد اقام فى باريس سنة واربعة اشهر ، ولكن بعض رجال الاحزاب التقدمية قد استقبلوه وساعدوه بالخصوص فى موضوع ايجاد الاسلحة . وعاد محمد بوجيبار الى الريف وهو مطلع بشؤون فرنسا الداخلية والخارجية . وارسل محمدى الحاتمى(I) الى لندن وقضى فيها سنة ونصف حاول خلالها الحصول على اعتراف بريطانيا بحكومة الريف ، ولكن رئيس الحكومة البريطانية «شانبيرلان» نعت قادة الريف بالثوار فى مجلس العموم يوم 5 اغسطس 1922 . وعاد محمدى الحاتمى الى الريف بخفى حنين سنة 1924 وتزوج بشقيقة محمد عبد الكريم وكان سنه يتجاوز ثلاثين سنة .

(I) لا يزال على قيد الحياة وهو يعيش فى قرية بن غرير قرب مدينة مراكش .

واتصل عـدد مـن القادة الريفيين بالاوساط السياسية ولا سيما «بايشفارييتا» الراسمالى الاسبانى الذى دافع من اجل الاعتراف بالحكومة الريفية وادت هذه الاتصالات المختلفة الى فتح مفاوضات بين حكومة مدريد والحكومة الريفية

وفى هـذه الظروف ، كانت الجيوش الاسبانيـة تحارب المجاهدين الريفيين والاقطاعى الريسولى وجماعته فى ناحية العرائش فى نفس الوقت. فقد كان الريسولى يهجم على الاسبانيين وعلى رجال القبائل على حد سواء قصد سلبهم من كل متاع يجده عندهم . فكتب الريسولى صفحة هامـة فى تاريخ اللصوصية فى بداية القرن العشرين وقد كان الريسولى قبل فرض الحماية على المغرب اقطاعيا لا يخضع للسلطـان وتخصص فى خطف الاوربيين فى ناحية العرائش للحصول على تعويضات مرتفعة من حكوماتهم لتحريرهم. فكانت تصرفاته مصدر نزاعات دبلوماسية نشأت بين السلاطن وبعض الدول الاوربية. وكانت اعمال الريسولى لا تقلق الحكومة الريفية التى كانت ترى فيها مصدر قلق للاسبان ما دام الريسولى لا يعمل جنبا الى جنب السلطات الاسبانية للقضاء على الثورة الريفية . وقد فكرت الحكومة الريفية مع ذلـك فى القضاء على الريسولى متى توطدت شؤونهـا ورمت بالجيوش الاسبانية الى البحر . فشعرت الحكومة الاسبانية بهذا الاتجاه وشرعت فى استغلاله لصالحها ، وهكذا عقدت مع الريسولى اتفاق «بوحسان» بتاريخ 23 ابريل 1923 التزم فيه بمهاجمة المجاهدين بجانب الجيوش الاسبانية . فاعتبر محمد عبد الكريم هذا الاتفاق بمثابة رفض الحكومة الاسبانية لطلب الحكـومة الريفيـة بخصوص استقلال الريف . فأوقف المفاوضات وامر المجاهدين بشن هجوم عام على الجيوش الاسبانية . فساد اسبانيا شعور الخيبة والاهانة جعل الجنرال «بريمو دى ريفيرا» ان يفرض دكتاتورية على اسبانيـا بانقلاب قـام به يوم 13 شتنبر 1923 . وقد حاول الجنرال «بريمو دى ريفيرا» استئناف المفاوضات بين الحكومة الاسبانية والحكومة الريفية ، ولكن المجاهدين كانوا يحرزون على انتصارات متوالية وفرضوا على القيادة العسكرية الاسبانية الهروب من مدينة الشاون وهجموا على الريسولى

والقوا القبض عليه فى بداية 1925 وجاءوا به الى اجدير حيث توفى فيما بعد. وهكذا اعتبر محمد عبد الكريم انه قوى ولا يحتاج الى مفاوضات مع اسبانيا لا سيما وانه سبق ان صرح انه يعتبر معركة انوال هاوية من الدم ومن الوحل تبعده الى الابد من اسبانيا .

وفى نفس الوقت ، نظم اصدقاء الريف دعاية كبرى فى اوربا تدعو لاستقلال الريف . وقام الانكليزى «كوردون كانين» بدور هام فى هذا الميدان ، واسس فى لندن «لجنة الريف» وتراسها ، ولكن الحكومة البريطانية لم تؤيده ظاهريا ، واعربت المنظمات الوطنية فى تونس والجزائر على عطفها وتأييدها لثورة الريف التى اصبحت موضوع الساعة الهام تريد الصحافة العالمية معرفة الكثير عنه . وهكذا جاء الى الريف عدد من الصحافيين الاوربيين والامريكيين لاستجواب رئيس الريف . وعملت الهيئات الشيوعية فى افريقيا الشمالية لفائدة محمد عبد الكريم ، وقد سبق لها ان اعتبرت برنامج خالد حفيد عبد القادر قادرا على التعجيل بقيام الثورة فى كل من تونس والجزائر والمغرب . ونشرت صحيفة «كامفير» الشيوعية فى «زوريخ» بسويسرا عدة مقالات تأييدا لثورة الريف . وقد اتبع محد عبد الكريم سياسة خاصة حتى يجعل الراسماليين الاوربيين يهتمون بالريف ويتدخلون لدى حكوماتهم لتعترف «بحكومة الريف» فاستقبل سنة 1922 ـ 1923 مدير صحيفة يومية كبيرة فى باريس وسلم له مستندات اقتصادية عن الريف مع الاشارة الى مواقع المناجم والثروة التى تمثلها كما حددها منقبون اجانب . ورافق محمد عبد الكريم الصحافى لزيارة مناجم الذهب ، والخفيف والنفط وسلمه اربعين الف بسيطة لتكون المقالات تثير انتباه الراسماليين، ولكن هذا الصحفى الفرنسى لم ينشر شيئا فى صحيفته وباع هذه المستندات الى شركة لندن ، يقول «بيير فانتين» فى كتابه عن الريف . وكان «الكابتين كاردينير» من بين المسؤولين عن هذه الشركة ، وقد سعى هدا الضابط الانكليزى ظاهريا لدى حكومته من اجل الاعتراف بالحكومة الريفية . وخلال هذه الفترة فاه الوزير الفرنسى «بانلوفى» بخطاب فى مدينة «نيم» قال فيه : ان فرنسا ستفتح حوارا مع الزعيم الريفى على

اساس «حق الشعوب بتقرير مصيرها» . وهكذا ، تراس محمد شقيق الزعيم الريفى بعثة دبلوماسية سنة 1923 ذهب الى باريس لمحاولة الحصول على اعتراف فرنسا «بالسلطة الريفية» . وضمت البعثة شقيق الزعيم الريفى ومحمدى الحاتمى ، وقد جاء الى فاس وبيدهما جوازين سلما لهما من طرف وزارة الخارجية الفرنسية ثم التحقا بالجزائر حيث قاما بمحاولة شراء طائرات . واخيرا وصلا الى باريس حيث استقبلا رسميا من طرف الوزير «بانلوفى» و«بيريتى دو لا روكا» فى مقر وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية ، وقيل كلام كثير عن هذه المقابلة ؟ منه ان فرنسا واسبانيا الملتزمتين باتفاقات دولية عن المملكة المغربية ، يمكن لهما منح الاستقلال الداخلى للريف ولكن اسبانيا تبقى مسؤولة عن شمال المغرب، وذلك وفقا للقانون الدولى . وطلب الوزير الفرنسى من شقيق الزعيم الريفى ان يبقى الاتصال مستمرا بين فرنسا وحكومة الريف . وعلى اثر هذه المقابلة ، اتصل نواب المعارضة فى فرنسا بالمسؤولين الريفيين . وقد عادا الى اجدير بعد بضعة اسابيع اتصلا خلالها ايضا بالشركات التى تبيع الاسلحة .

وقام كثير من المثقفين فى المغرب الجنوبى الخاضع للسلطة الفرنسية بدعاية واسعة النطاق لفائدة ثورة الريف ووزعت المنشورات تأييدا لمحمد عبد الكريم والصقت فى المساجد وفى ضريح مولاى ادريس بفاس . وزاد اهتمام المثقفين المغاربة بثورة الريف لما اعلنت الجمهورية فى تركيا وانتخب «اتاتورك» رئيسا لها سنة 1925 . فقامت زاوية التجانيين وزاوية الشادليين للدعوة لفائدة محمد عبد الكريم واستطاعت عائلة اليعقوبى ان تنظم عدة اكتتابات لفائدة الثورة الريفية التى مثلها فى فاس الحجوى الذى كان محميا (1) لبريطانيا . والتحق بأجدير ابناء التا التازى الثلاثة (2) للمحاربة فى صفوف المجاهدين ، وكان ابوهم موظفا ساميا فى فاس ، وحتى بعض الموظفين الفرنسيين بالاقامة العامة ، كانوا يعطفون على ثورة الريف .

---

(1) نصت اتفاقية مدريد بتاريخ 3 يوليوز 1880 انه يمكن للدول الموقعة ان تمنح حمايتها لرعايا السلطان اذا وافق هذا الاخير على ذلك .

(2) رجعوا الى فاس بعد نهاية ثورة الريف ولم تمسهم السلطات الفرنسية بسوء .

هذا وقد لعبت مدينة طنجة الدولية دورا هاما فى الثورة الريفية .

فاتصل محمد عبد الكريم بالمنظمة الاسلامية (I) الممثلة فى طنجة من طرف حسين عونى باى وبجامعة الشعوب المظلومة (2) ، لطلب تأييدها المعنوى ، وقد قامتا بدعاية فى العالم الاسلامى لفائدة كفاح الريف . فقدم محمد المنو من القاهرة وباسم المؤتمر الاسلامى تسعة آلاف جنيه استرلينى مساعدة الى المجاهدين فى الريف ، ولكن محمد عبد الكريم لم يقبل هذه المساعدة وشكر المؤتمر الاسلامى وطلب منه ان يقدمها الى الحركة الاسلامية التى هى فى حاجة الى الاموال . لان «حكومة الريف» غنية لا تحتاج الا الى مساندة المسلمين المعنوية .* فقالت الصحافة العالمية على اثر هذا الرفض ان الميزانية الريفية تقدر بستمائة مليون سنويا ، وقد كان هذا القدر مرتفعا فى ذلك الزمان بالنسبة لميزانية دولة صغيرة . ومن طنجة ايضا قام محمد الفشتالى بن الفقيه ، لحساب الثورة الريفية ، بالاتصال بالمرتزقة الالمانيين الذين يعملون فى الجيوش الاسبانية والفرنسية لتشغيلهم فى الجيش الريفى . وكانت الاسلحة تصل الى الريف على طريق المنطقة الدولية . وقفت البواخر فى شواطىء طنجة لتفريغ حمولاتها الحربية ، وقد استطاعت الحكومة الريفية ان تؤسس شبكة من اجل هذه الغاية ، وقد عمل داخل هذه الشبكة الضابطان الانكليزيان «كاردينير» و«موندى» والاسبانى «البوزو» . فاتصلت اسبانيا وفرنسا وبريطانيا بالمجلس الدائم لعصبة الامم تطلب منه جعل حد لتهريب الاسلحة فى شواطىء المغرب وفقا لاتفاقية الجزيرة الخضراء بصفتها وثيقة يحميها القانون الدولى . فطلب هذا المجلس من اسبانيا وفرنسا وبريطانيا ان ترسل كل منهما بارجة حربية الى شواطىء الريف لمتابعة مهربى الاسلحة . ولكن هذه البوارج لم تستطع ان تعثر على شىء فى شواطىء الريف خلال المهمات التى قامت

(I) كان مقرها فى برلين .

(2) كان مقرها فى تركيا .

بها . فقد كان السلاح يصل الى الريف على الطريق البرى ، ولعبت طنجة دورا هاما ايضا فى موضوع البريد الريفى . كان لبريطانيا بمقتضى معاهدة الجزيرة الخضراء حق وضع صناديق بريدية فى المغرب دون ان تستطيع السلطات الفرنسية او الاسبانية مراقبتها ، وقد رفضت بريطانيا توحيد النظام الداخلى لجمع الرسائل وتوزيعها فى المغرب . وكانت الدولة الوحيدة من بين الدول الموقعة على معاهدة الجزيرة الخضراء التى رفضت هذا التوحيد . فاستفادت بريطانيا من صناديق بريدها فى المغرب التى كانت بمثابة حقيبة ديبلوماسية يتستر عملاؤها بواسطتها . وقد استفادت الثورة الريفية ايضا من البريد البريطاني ، وكان اى شخص يريد ارسال كتاب الى منطقة الثورة الريفية يوجه الرسالة الى عنوان عبد الله وعلى اخمليش بطنجة ، ومن هذه المدينة كانت الرسائل ترسل الى اجدير ليتم توزيعها فى الريف . بهذه الوسيلة ، كانت الصحف الفرنسية تصل الى اجدير قبل ان تتوصل بها الاقامة العامة الفرنسية فى جنوب المغرب ، وكانت الرسائل المبعوثة من جنوب المغرب تصل الى اصحابها فى الريف بعد ثلاثة ايام . وقد علمت السلطات الفرنسية فى جنوب المغرب بذلك ، فحاولت ان تحرم بريطانيا من امتيازها ولكنها لم تصل الى شىء فى هذا المضمار .

وفى موضوع العلاقات البريطانية الريفية ، يقول «بيير فانتين» فى كتابه عن الريف ان بريطانيا اتبعت سياسة خاصة فى هذه المنطقة من المغرب وكان جواسيسها يجمعون المعلومات عن حقيقة الثروة المعدنية الريفية . وفى فبراير 1924 رست فى الحسيمة باخرة خاصة علمها بريطانى ونزلت منها لجنة بريطانية تتكون من تسعة اعضاء منهم «جون ليون كامبيل» و«ريدين» و«طورينسند» . وقد عرفت الحكومة الفرنسية بواسطة عملائها بعد بضعة سنين من زيارة هذه اللجنة للحسيمة انها اقترحت على محمد عبد الكريم شراء مناطق معدنية ، وقد خصصت لهذه الصفقة ثلاثمائة الف جنيه استرلينى . فكان هذا القدر خياليا فى 1924 ، فيأخذ المستغلون خمسين فى المائة من الارباح وتأخذ الحكومة الريفية الخمسين الباقية . وطلب اعضاء اللجنة من محمد عبد الكريم انهم يريدون ان يتم تموين الريف بجميع

المواد التى يحتاج اليها بواسطة الطريق البحرى ، لذلك يجب ان تقفل الحدود الجنوبية وتقف نهائيا العلاقات الاقتصادية مع جنوب المغرب الخاضع للسلطات الفرنسية . وقد استمر مقام هذه البعثة فى الريف ثمانية عشر يوما ، وبعد ذلك ببضعة اسابيع جاءت البارجة «سيلفيا» من جبل طارق الى الحسيمة وافرغت حمولة سلاح هدية الى حكومة الريف . وعلمت الحكومة الفرنسية ايضا ان ضباطا بريطانيين ولا سيما «الكابيتين كاردنير» و«الكابيتين هاكلاندير» اللذين كانا يعملان لحساب عائلة مانيسمان قد باعا عشرين الف بندقية من نوع «موزير» و«لوبيل» الى محمد عبد الكريم . وفى نفس سنة 1924 وقعت شركة «شارل كاردينير» الضابط والراسمالى والمهندس اتفاقا فى باريس مع محمد الخطابى شقيق الزعيم الريفى ومحمد ابن الحاج . فحصل «كاردينير» على حق استغلال مناجم الريف والقيام بالتنظيم الداخلى لمنطقة الريف : النقل ، الموانىء ، البريد ، الجمارك ، السينما الخ . فتأخذ الحكومة الريفية اربعين فى المائة من ارباح هذه المصالح والباقى لجماعة «كاردينير» . وقد بعث رئيس الحكومة الاسبانية «بريمو دى ريفييرا» كتابا خلال شهر شتنبر 1924 الى نظيره البريطانى قال فيه : «يجب موافقة سلطان المغرب ليكون حق استغلال المناطق المعدنية فى الريف مقبولا» . ولما اجتمعت فى باريس اللجنة التحكيمية لمناجم المغرب سنة 1925 ، لاحظت ان الوثائق المعدنية التى وافق عليها السلطان مولاى الحسن الاول لا زالت جارية المفعول من الناحية القانونية . ولهذا اعترف ضمنيا بصحة الاتفاق المبرم بين «كاردينير» وحكومة الريف .

وقد قام «كانين» رئيس لجنة الريف بمهمة فى باريس كلفه بها محمد عبد الكريم وقد ارسل «كانين» الى باريس بصفته وزيرا مفوضا لحكومة الريف لدى حكومة الجمهورية الفرنسية . فلم يستقبله «بريان» وزير الخارجية الفرنسية ، وكان ذلك قبل اجتماع عصبة الامم لان حكومة الريف واصدقاءها الاجانب قاموا باتصالات واسعة النطاق وطمحوا فى اعتراف فرنسا بحكومة الريف التى سوف تقبلها عصبة الامم عضوا من اعضائها . فلم يفلح «كانين» فى مهمته ، فسلم محمد عبد الكريم كتابا الى الصحفى

البريطاني «وارد برايس» المبعوث الخاص لصحيفة «الديلي ميل» ليسلمها بدوره الى رئيس الحكومة البريطانية «ماك دونالد» ، وقال الزعيم الريفي في هذا الكتاب انه يقترح على اسبانيا مفاوضات السلام شريطة اعترافها باستقلال الريف . وجاء «كانين» الى الريف عدة مرات ، جاء مبعوثا من طرف الصليب الاحمر الدولي لتقديم الادوية الى الريف ، وجاء مبعوثا من طرف الحكومة الفرنسية لاقتراح مفاوضات ، وجاء مع جماعة من الفنيين البريطانيين لمساعدة ثورة الريف .

خلقت الثورة الريفية مشكلا لفرنسا لم تكن تفكر فيه . لا سيما وان التوقيع على معاهدة الحماية بين السلطان مولاى حفيظ والحكومة الفرنسية لم يمر عليه الا بضعة سنين ، كانت السلطات الفرنسية خلالها تقضى جل وقتها في محاربة القبائل الثائرة ضد الحكم الفرنسي . ولم تكن فرنسا تنتظر انه في المغرب المتخلف ستقوم ثورة منظمة ويسعى قادتها لاستقلال الدولة ويحققون انتصارات عسكرية ضد الجيوش الاسبانية العصرية . فقررت الحكومات الفرنسية المتعاقبة من سنة 1921 الى سنة 1925 ان موقف فرنسا تجاه الريف ستبلوره الاحداث وتطوراتها . واعطيت تعليمات الى الاقامة العامة الفرنسية في المغرب بأن تكون علاقاتها مع قادة الريف ودية وان تسعى لاستمرار هذه العلاقات . فكان الريف في هذه الظروف يشتري من جنوب المغرب الخاضع لفرنسا النفط والآلات المختلفة . وكانت كل هذه المواد تمر على طريق «تاوريرت» ، ومن هذه القرية كان العمال يخرجون من الريف للذهاب الى «المرسى الكبير» بالجزائر من اجل ايجاد شغل ، فكانت «تاوريرت» بمثابة باب الخروج من الريف والدخول اليه . وقد لعبت هذه القرية دورا هاما في العلاقات الفرنسية الريفية ، وقد اسست الاقامة العامة شبكة تجسس في جميع القرى القريبة من الحدود الريفية ، وكان المراقب المدني «ليون كابرييلي» رئيسا لمركز «تاوريرت» . وقد لعب القائد حدو بن حمو البقيوى دورا هاما في الاتصالات التي اجريت بين الريف والاقامة العامة . من هو القائد حدو ؟ شخص طويل القامة نحيفها ذو عينين سوداوين ملتهبتين . عاش في صغره في «بورساى» بالجزائر حيث كان له مقهى اسمه «ملتقى القراصنة» . وخلال الحرب العالمية الاولى ،

اشتغل حدو عميلا للاستعلامات الفرنسية . فسجنه الاسبان فى الجزائر الجعفرية بتهمة التجسس ، ومن هذه الجزر هرب والتحق سباحة بالجزائر. وعند ما قامت ثورة الريف عينه محمد عبد الكريم قائدا لقبيلة بقويا . وكان يتكلم الفرنسية والاسبانية ، ويرتدى الزى الاوربى فى بعض المناسبات . عرف باناقته ، واسلوبه المجامل . وقد سافر عدة مرات الى وجدة ووهران وفاس والرباط . وعند ما اشترت حكومة الريف طائرات من الجزائر استطاع فى وقت يسير ان يتعلم سياقة الطائرة . وكان الاسبان يعتقدون ان القائد حدو توفى لانه من الصعب قطع مسافة بالسباحة من الجزائر الجعفرية الى الجزائر . فلما سمعوا بأنه حى يرزق فى الجزائر طلبوا من عملائهم ان يسألوه عن الذى ساعده فى هروبه ، فأعطى لهم اسم ضابط كان يعذبه خلال اسره . وقد قابل الجنرال ليوطى عدة مرات وقال له هذا الاخير : «انى احب اهل الريف كما هم ولا اريد ان يصبحوا عظماء» . وكان للقائد حدو مكتب بوجدة يشرف عليه كاتب جزائرى . وعرف عنه ايضا انه مغامر ووصولى ووطنى ، وكان بيده جواز فرنسى ، وقد ادى خدمات جليلةلقضية الريف ، وبعد نهاية ثورة الريف سجنته السلطات الفرنسية ثم وضعته فى اقامة اجبارية فى «الصويرة» حيث توفى ففيرا سنة 1950 . هده هى المعلومات التى كتبها عنه مختلف الصحفيين .

وبفضل اتصالات القائد حدو مع الاقامة الفرنسية سمح لبعثة طبية فرنسية تتكون من الدكتور «ماريون كالوا» والآنسة «بانزو» الممرضة ان تذهب الى الريف فى نهاية سنة 1923 لمعالجة شقيقة الزعيم الريفى وزوجة وزير خارجيته «ازرقان» التى اصيبت فى رحمها على اثر ولادتها . وقد رافق القائد حدو الدكتور والممرضة الى «آيت قمارة» وهو المكان الذى كانت تقيم فيه عائلة الزعيم الريفى . وصرحت الآنسة «بانزو» بعد عودتها الى جنوب المغرب ان المسؤولين فى الريف اهتموا كثيرا بالبعثة الطبية الفرنسية ووضعوا تحت تصرفها كل وسائل الراحة خلال مقامها فى الريف . وكلفت سجينة اسبانية واسمها «ايزابيل» بخدمة الممرضة ، وان الدكتور الفرنسى لم يستطع رؤية المريضة ولكنه جلس فى غرفة والممرضة فى غرفة اخرى

اشتغل حدو عميلا للاستعلامات الفرنسية . فسجنه الاسبان فى الجزائر الجعفرية بتهمة التجسس ، ومن هذه الجزر هرب والتحق سباحة بالجزائر. وعند ما قامت ثورة الريف عينه محمد عبد الكريم قائدا لقبيلة بقويا . وكان يتكلم الفرنسية والاسبانية ، ويرتدى الزى الاوربى فى بعض المناسبات . عرف باناقته ، واسلوبه المجامل . وقد سافر عدة مرات الى وجدة ووهران وفاس والرباط . وعند ما اشترت حكومة الريف طائرات من الجزائر استطاع فى وقت يسير ان يتعلم سياقة الطائرة . وكان الاسبان يعتقدون ان القائد حدو توفى لانه من الصعب قطع مسافة بالسباحة من الجزائر الجعفرية الى الجزائر . فلما سمعوا بأنه حى يرزق فى الجزائر طلبوا من عملائهم ان يسألوه عن الذى ساعده فى هروبه ، فأعطى لهم اسم ضابط كان يعذبه خلال اسره . وقد قابل الجنرال ليوطى عدة مرات وقال له هذا الاخير : «انى احب اهل الريف كما هم ولا اريد ان يصبحوا عظماء» . وكان للقائد حدو مكتب بوجدة يشرف عليه كاتب جزائرى . وعرف عنه ايضا انه مغامر ووصولى ووطنى ، وكان بيده جواز فرنسى ، وقد ادى خدمات جليلةلقضية الريف ، وبعد نهاية ثورة الريف سجنته السلطات الفرنسية ثم وضعته فى اقامة اجبارية فى «الصويرة» حيث توفى فقيرا سنة 1950 . هذه هى المعلومات التى كتبها عنه مختلف الصحفيين .

وبفضل اتصالات القائد حدو مع الاقامة الفرنسية سمح لبعثة طبية فرنسية تتكون من الدكتور «ماريون كالوا» والآنسة «بانزو» الممرضة ان تذهب الى الريف فى نهاية سنة 1923 لمعالجة شقيقة الزعيم الريفى وزوجة وزير خارجيته «ازرقان» التى اصيبت فى رحمها على اثر ولادتها . وقد رافق القائد حدو الدكتور والممرضة الى «آيت قمارة» وهو المكان الذى كانت تقيم فيه عائلة الزعيم الريفى . وصرحت الآنسة «بانزو» بعد عودتها الى جنوب المغرب ان المسؤولين فى الريف اهتموا كثيرا بالبعثة الطبية الفرنسية ووضعوا تحت تصرفها كل وسائل الراحة خلال مقامها فى الريف . وكلفت سجينة اسبانية واسمها «ايزابيل» بخدمة الممرضة ، وان الدكتور الفرنسى لم يستطع رؤية المريضة ولكنه جلس فى غرفة والممرضة فى غرفة اخرى

بجانب المريضة فأخذت تصف ما ترى من جروح للدكتور وذلك بواسطة التلفـون . وفى نهاية هـذه المهمة وشح الزعيـم الريفى صدر الدكتور الفرنسى . وفى شهر مايو 1924 رجعت الآنسة «بانزو» الى الريف حيث انتشرت عدوى الجدرى لتلقح السكان والمجاهدين . ورافقها خلال هذه الزيارة القائد حدو والتحقا بأجدير على متن سيارة القائد مارين بجانب الجبال لانه لم يكن فى الريف فى ذلك التاريخ طرق معبدة . ومكثت الممرضة الفرنسية فى الريف ثلاثة اسابيع وعادت الى تاوريرت حيث عولجت فى المستشفى بسبب التعب الذى شعرت به على اثر مهمتها . ولاحظت الممرضة الفرنسية خلال مقامها فى اجدير عدة سيارات من نوع «رونو 18 خيل» خاصة بنقل المسؤولين . وخـلال مقامها فى هـذه المدينة هجم الاسبـان بطائراتهم على مطار تازة وعلى مطار اجدير الصغير وحطمت طائرة ريفية . ودام الهجوم على اجدير اربعة عشرة ساعة . وزارت الريف بعد ذلك بعثة من الفنيين الفرنسيين لتحديد عدد المناجم ومعرفة معادنها وتقدير ثرواتها . وفى اوائل سنة 1924 ، حاولت الحكومة الريفية معرفة نوايا فرنسا نحو الريف ، فاتصلت بواسطة القائد حدو مع الاقامة العامة الفرنسية لتقترح عليها تأسيس لجنة مشتركة فرنسية ريفيـة لتحديد خط الحدود بين الريف وجنوب المغرب الخاضع لفرنسا . فأرسل المراقب المدنى الى الماريشال ليوطى يطلب منه التعليمات فيما يخص هذا الموضوع ، فأجاب المقيم العام الفرنسى يوم 30 مارس قائلا : «ان فرنسا لا تعترف الا بالحدود المنصوص عليها فى الاتفاقيات الخاصة بالمنطقة الاسبانية والمنطقة الفرنسية . ولا يمكن لفرنسا ان تفعل شيئاً فى هذا المضمار فى غياب اسبانيا ، وما دامت هذه الدولة متشبثة من الناحية الديبلوماسية بحقوقها التى اعترفت بها الاتفاقيات المبرمة سابقا» . هذا وقد سبق للجنة فرنسية اسبانية ان شرعت فى تحديد خط الحدود بين المنطقتين الفرنسية والاسبانية فى غرب وادى «لوكوس» وذلك قبل نشوب ثورة الريف ، ولم تتمكن هذهُ اللجنة بسبب الحرب متابعة عملها . واضاف الماريشال ليوطى : «ان السلطات الفرنسية تبدى قلقها كون قادة الريف صدرت منهم اعمال عدائيـة لفرنسا فى المنطقـة الخاضعة لها» ؛ أما فيما يخص سيادة السلطان ، يضيف ليوطى : «.. فهى

مقدسة يجب على كل مسلم الخضوع لها . لهذا يجب على محمد عبد الكريم ان يبحث عن الشكل الذى يريد به‌ا لاعتراف بهذه السلطة ،. وان يحدد الموقف الذى يريد ان يتخذه تجاه صاحب الجلالة بصفته من رعاياه . ان فرنسا لا تريد الا القيام بمهمة تهدئة الثائرين فى جنوب المغرب لحساب «المخزن»(I)، ولا ترغب الا فى ان تعيش فى سلام وتفاهم مع سكان الريف نظرا لكونهم لا يخضعون لفرنسا» .

وطلب الماريشال ليوطى من المراقب «كابرييلى» ان يقول هذا الكلام شفويا الى القائد حدو ولا يسلم له اى كتاب فى هذا الموضوع . وفى يوم 31 مارس جاء القائد حدو الى «تاوريرت» واطلع على موقف الحكومة الفرنسية . وخلال هذه الفترة استطاع صحافيان امريكيان «موريز» مراسل (دو شيكاغو ديلى نيوز) و«فانسون شين» مراسل (دو شيكاغو تريبون) ان يصلا الى اجدير لاستجواب الزعيم الريفى . وعلى اثر هذه الزيارتين ، علمت الاقامة العامة من «موريز» ان المجاهدين سيهجمون على بعض المراكز الفرنسية . وفى يوم 13 ابريل هجم المجاهدون على مركز امجوط الفرنسى ثم على «تالغزة» . واستطاع الجيش الريفى أن يقترب من مدينة تازة، كما احتل يوم 27 ابريل قنطرة نهر «ايناون» البعيد بثلاثين كيلو مترا من فاس . وقد سبق للقبائل بشمال فاس وتازة ان كتبت الى محمد عبد الكريم تطلب منه ان ينقذها من السيطرة الفرنسية . وقدم اهل وزان طلبا مماثلا الى الزعيم الريفى . وحصل الجيش الريفى على عدة انتصارات ضد الجيوش الفرنسية والقوا القبض على كثير من الجنود الفرنسيين . والتجأ الى الريف خلال هذه الاحداث عدد من الجزائريين والمغاربة الجنود فى الجيوش الفرنسية بالاضافة الى بعض الالمان . فكتب الماريشال ليوطى الى حكومته يشرح لها الحالة ويطلب منها ان تزوده بالجنود لانه لا يستطيع الدفاع على منطقة مسافتها ثلاثمائة كيلو مترا بالاعتماد على اربعين الف رجل .

(I) «المخزن» فى المملكة المغربية تعبير معناه الحكومة .

واتبع ليوطى خلال الهجوم الريفى خطة دفاعية ، امر جميع المراكز الفرنسية بالصمود امام التحركات الريفية . واستطاع بهذه الخطة ان ينجو من هزيمة كبرى مثل التى حصلت للجيوش الاسبانية . وفى 2 يوليوز 1924 كانت مدينة تازة على وشك السقوط فى قبضة محمد عبد الكريم فكتب ليوطى برقيات كثيرة الى حكومته يطلب النجدة بتزويده بآلاف الجنود مبينا ان الحالة خطيرة وان الجيش الريفى سوف يحتل عدة مدن مغربية خاضعة لفرنسا . فاهتمت الحكومة الفرنسية ببرقيات وتقارير مقيمها العام بالمغرب وقررت تغيير سياستها مع الريف ، كما قررت سحب ليوطى من المغرب وتعيين «ستيغ» مكانه ، وكلفت الماريشال «بيتان» بتهيىء خطة عسكرية للدخول فى حرب فى الريف اذا لم تنجح الخطة السياسية، وبقيت الحالة بين الريف وفرنسا متأزمة واقفلت الحدود بين الريف وجنوب المغرب . وفى يونيو 1925 ، حاول المراقب «كابرييلى» الاتصال بالمسؤولين فى الريف ، فوافقت الحكومة الفرنسية على مبادرته ، وذلك لتعرف تطور السياسة الريفية وتدخل فى مفاوضات فيما يخص الاسرى الفرنسيين فى الريف اذا وافق على ذلك محمد عبد الكريم . وهكذا غادر «كابرييلى» تاوريرت يوم 24 يونيو 1925 بمرافقة مترجمه الجزائرى وبعض الخدم ، وذلك بعد ما وافقت الحكومة الريفية على ذلك . وفى يوم 28 يونيو استقبل الزعيم الريفى الموظف الفرنسى قرب قرية «اخشاب امغار» امام زاوية «تنغزا» . ودامت المقابلة ساعتين ونصف بحضور أزرقان وزير الخارجية ، وبوجيبار وزير الحربية ، وعبر محمد عبد الكريم عن اسفه كون العلاقات الريفية الفرنسية تأزمت ، وقال ان فرنسا هى المسؤولة عن ذلك لانها حرضت القائد المذبوح بالهجوم على قبائل الريف ، وان الجيوش الفرنسية وصلت الى منطقة قبيلة بنى زروال الريفية لتحتلها ، وان القائد علوش الشادى هو الذى هجم على الجنود الفرنسيين وبدون موافقته ، وقد عوقب علوش على عمله ، وان الاقامة العامة ارسلت اليه عبد العزيز لحلو ليخبر الحكومة الريفية ان الجيوش الفرنسية ستحتل قبيلة بنى زروال . لهذا يضيف الزعيم الريفى : «يبدو ان فرنسا تريد غزو الريف مع ان الحكومة الريفية لا تريد الا ان تعيش فى سلام مع فرنسا ، لهذا يجب ان تعترف

باستقلال الريف» . ولم يقل الموظف الفرنسى خلال هذه المقابلة اى كلمة ، ولكنه كان يسجل اقوال الزعيم الريفى . وفى آخر المقابلة طلب «كابرييلى» من محمد عبد الكريم ان يأذن له بتسليم بعض المواد للاسرى الفرنسيين، ولكن الزعيم الريفى قال له : «انك ضيفى الآن ولا اريد ان يمس شعورك حينما ترى الاسرى ، سلم المواد فستصل الى الاسرى» . وقد وعد الزعيم الريفى الموظف الفرنسى ، بطلب منه ، ان لائحة الاسرى الفرنسيين ترسل له الى تاوريرت فى اقرب وقت . وعلى اثر هذه المقابلة تحادث «كابرييلى» مع أزرقان وبوجيبار وعلم ان القنصلين الامريكى والايطالى زارا الزعيم الريفى فى الفترة التى كانت الصحافة المغربية تتحدث عن مناجم الريف ، وعلم ايضا «ان حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وايطاليا اخبرت الحكومة الريفية انها مستعدة للاعتراف باستقلال الريف اذا كانت فرنسا لا تعارض ذلك» . وفى نهاية المحادثات السياسية بين المسؤولين الريفيين والموظف الفرنسى ، اعرب أزرقان عن استعداد الحكومة الريفية للدخول فى حوار مع الحكومة الفرنسية لحل جميع المشاكل ، شريطة اعترافها باستقلال الريف . وفى 3 يوليوز وصل «كابرييلى» الى فاس بأمر من المقيم العام ، فاستقبله ليوطى وطلب منـه تحرير تقرير عن رحلته الى الريف . وفى يوم 24 يوليوز ، بعد ما رجع «كابرييلى» الى تاوريرت ، طلبت منه الاقامة العامة ثانية ان يذهب الى مليليا لمرافقة «فرانسيسكو ماران» ممثل الحكومة الاسبانية والاتصال بالمسؤولين فى الريف للتفاوض معهـم حول النقط الآتية التى تم الاتفاق بشأنها بين الحكومتين الفرنسية والاسبانية يوم 18 يوليوز 1925 . وجاء فى مقدمة النقط المقترحة :

اولا ـ ان الحكومتين الفرنسية والاسبانية متفقتان لمنح قبائل الريف وجبالة المعنية بالامر الاستقلال الادارى الموافق للاتفاقيات الدولية الخاصة بالمملكة الشريفة .

ثانيا ـ ان الحكومتين متفقتان لفتح مفاوضات فى اقرب وقت مـع المسؤولين فى الريف للوصول الى اقرار السلام وتطبيق النظام الجديد .

اما النقط المقترحة لفتح المفاوضات فهى .

اولا ـ تبادل الاسرى .

ثانيا ـ وقف القتال .

ثالثا ـ تحديد نظام الاستقلال الادارى .

رابعا ـ الاتفاق حول الاراضى التى ستخضع لهذا النظام .

خامسا ـ تحديد عدد قوات البوليس التى ستسهر على النظام والامن فى هذه الاراضى .

سادسا ـ الاعتراف بحرية التجارة وضمانها فى الريف وذلك وفقا للمعاهدات الدولية والنصوص القانونية الخاصة بالجمارك .

سابعا ـ تهريب السلاح يبقى ممنوعا .

ثامنا ـ الاتفاق على منطقة من الشاطىء لتكون محتلة احتلالا سلميا من طرف اسبانيا ابتداء من يوم وقف القتال .

وقد ارسل نص هذه الاقتراحات الى الزعيم الريفى ، ولم يستطع المبعوثان الفرنسى والاسبانى الاتصال بأحد المسؤولين الريفيين وبقيا على متن «البارجة رقم 17» الاسبانية فى عرض البحر فى انتظار جواب الحكومة الريفية . وفى يوم 9 اغسطس ، جاء مبعوث من الريف يخبر الموظفين الفرنسى والاسبانى ان محمد عبد الكريم كلفه بالاتصال مباشرة مع رئيس الحكومة الاسبانية الجنرال «بريمو دى ريفيرا» . اقترح محمد عبد الكريم على الحكومة الاسبانية ان تجرى معه مفاوضات وبدون وجود الفرنسيين ، وقد سبق له ان اراد التفاوض مع الفرنسيين دون وجود الاسبانيين وسنرى فيما بعد كيف تطورت هذه القضية . وفى نهاية شتنبر 1925 تعزز الهجوم الفرنسى على القوات الريفية ، فأخذت بعض جماعات الزيف بفضل القائد المذبوح تعلن ولاءها للسلطات الفرنسية ، وهذه القبائل هي : اولاد زيان وبنى بوجطو واولاد الطير من قبيلة الغزناية والعبابدة وبنى وكيل من قبيلة المطالسة وبعض الجماعات من قبيلة بنى وحانى ولم يتم الاتصال بين المسؤولين فى الريف والاقامة العامة الفرنسية الا

بعد محاولات كثيرة قام بها المراقب «كابريبلي» ، فزاره فى تاوريرت يوم 4 فبراير 1925 القائد حدو ليخبره بجواب وزير خارجية الريف للحكومة الفرنسية . ذكر أزرقان فى جوابه ان حكومته توافق على مجيء بعثة طبية فرنسية لزيارة الاسرى الفرنسيين فى الريف ولا يمكن لهذه البعثة ان تتدخل فى شؤون الاسرى الاسبانيين ، وان محمد عبد الكريم يعترف بسيادة السلطان مولاى يوسف ويعتبر نفسه من رعاياه ويطلب من السلطان ان يحدد له المسؤولية التى يقوم بها فى الريف على اساس الاستقلال الادارى ، وان محمد عبد الكريم مستعد ليجيب على جميع المطالب السياسية التى تقدمها له الحكومة الفرنسية وجلالة السلطان ، عاهل شمال المغرب وجنوبه ، وانه لا يقبل المراقبة الاسبانية فى الريف . وطلب محمد عبد الكريم من الحكومة الفرنسية ان تبين له الشروط التى يفرضها عليه جلالة السلطان فى حالة وقف القتال . وخلال هذه الظروف كان ليوطى قد غادر المغرب وجاء مكانه «ستيغ» ، وقد بعث الى تاوريرت جواب الاقامة العامة على اقتراحات الزعيم الريفى يوم 23 فبراير 1926 . قال «ستيغ» : ان حكومته لا تستطيع ان تتفق فى شيء مع محمد عبد الكريم دون موافقة الحكومة الاسبانية وحضورها خلال المفاوضات ، وانها مستعدة ان تجد الحلول فى هذا الاطار . وفى يوم 18 مارس 1926 وصل جواب الحكومة الفرنسية ذاكرا الشروط التى طلبتها من الزعيم الريفى وهى :

اولا ـ الخضوع الى السلطان .

ثانيا ـ ابعاد محمد عبد الكريم .

ثالثا ـ نزع السلاح من القبائل وفق ضمانات تحدد فيما بعد .

رابعا ـ تسليم الاسرى .

اما فيما يخص المفاوضات مع اسبانيا كانت الحكومة الريفية قد اقترحت على الجنرال «بريمو دى ريفيرا» :

اولا ـ الانسحاب من تطوان ومن جميع المناطق التى تحتلها الجيوش الاسبانية حتى لا يبقى لاسبانيا الا مليليا وسبتة وجزر الحسيمة والغميرة .

ثانيا ـ الاستقلال التام والمطلق للريف والاعتراف باستقلاله من طرف اسبانيا .

ثالثا ـ اداء تعويضات عن الخسائر الريفية خلال اثنتا عشرة سنة ، وجزية لاطلاق سراح الاسرى الاسبانيين الذين هم بيد المجاهدين .

رابعا ـ حق نفي وسجن جميع قواد القبائل الذين حاربوا بجانب اسبانيا .

خامسا ـ تأسيس حكومة دستورية ريفية تحت رئاسة محمد عبد الكريم حتى تلتزم باحترام جميع الاوفاق .

وكانت الحكومة الريفية قد تقدمت بهذه الاقتراحات الى «ايزبورو» المندوب السامي الاسباني في تطوان بعد ما كان المجاهدون يحرزون على الانتصارات تلو الانتصارات ضد الجيوش النظامية الاسبانية ، وكان الريسولي في هذه الظروف ساخطا على اسبانيا لانها لم تنصبه بعد وفاة الخليفة السلطاني مولاى المهدى في تطوان في مكانه . واخذ يطلب ايضا انسحاب الاسبان من الريف . فألقى المجاهدون عليه القبض واتوا به الى تارغيست حيث توفي بعد ذلك . فأعلن «ايزبورو» يوم 16 اغسطس 1924 ان الحالة خطيرة في الريف وان المجاهدين على وشك احتلال عدد كبير من المراكز الاسبانية وان محاولات التفاوض مع اجدير قد فشلت كلها . فما هي الاحداث التي غيرت موقف فرنسا وموقف الريف ؟ غيرت فرنسا موقفها لاسباب اقتصادية ودولية ، فأصبحت قاسية مع قادة الريف هدفها القضاء على الثورة الريفية وزعيمها . سعت الاقامة العامة الفرنسية في جنوب المغرب للقضاء على نفوذ بريطانيا في المغرب ، كما عملت على قيادة السياسة الدولية الخاصة بمنطقة طنجة الدولية حتى لا تكون طنجة منافسا اقتصاديا لمدينة الدار البيضاء التي اسس فيها الماريشال ليوطي اكبر ميناء في افريقيا . وفي 20 ديسمبر 1923 صدر ظهير في جنوب المملكة يقرر فتح حدود جمركية في مدينة تازة تقسم جنوب المغرب الى منطقتين ، فتقرر ان تدفع كل مادة تأتي من المغرب الشرقي الى المغرب الغربي حقوق جمركية قدرها اثنتا عشرة

ونصف فى المائة منقيمتها ، ويجب اداء هذه الحقوق فى تازة . وهكذا قتل هذا الظهير الحياة الاقتصادية فى المغرب الشرقى . فانخفض التبادل التجارى فى الحدود المغربية الجزائرية فى يوليوز 1924 بخمسين فى المائة، كان ليوطى قد قرر ان تكون مدينة الدار البيضاء المركز الاقتصادى فى المغرب اوان تكون الرباط المركز السياسى للبلاد .

وكان التجار يفضلون ان تصل موادهم من مرسيليا الى طنجة من ان تصل الى الدار البيضاء وذلك بسبب ثمن النقل . وفى سنة 1925 ، تجدد قانون مدينة طنجة ، فسعت الاقامة العامة الفرنسية ليكون ممثل فرنسا يلعب دورا مرموقا فى المدينة الدولية حتى يتقرر ارتفاع اثمان النقل بالنسبة للمواد التى تأتى الى طنجة . وكان رئيس الحكومة الاسبانية قد اصدر قانونا انشأ بمقتضاه شركة البترول التابعة للدولة الاسبانية ، فحكم على نفسه فيما يخص نظرة بريطانيا اليه . وكانت بريطانيا تريد ان تسيطر على النفط فى جميع الدول التى يخضع اقتصادها مثل اسبانيا للاقتصاد البريطانى . فكان هذا القرار من الاسباب التى ادت الى انسحاب «بريمو دى ريفيرا» من الحكم فى اسبانيا والتجائه الى باريس . وكانت بريطانيا قد تأكدت ايضا بواسطة عملائها ان موضوع معادن الريف قد كان مبالغا فيه فى الصحافة العالمية . لجميع هذه الاسباب تحالفت فرنسا مع اسبانيا . وفى ابريل وافقت الحكومة الريفيـة على فتح مفاوضات مع فرنسا واسبانيا ، وذلك لان الحرب دامت كثيرا فى الريف وبدات بعض القبائل تبدى قلقها وساد الاضطراب المعنوى فى صفوف المجاهدين . فى هذا التاريخ ذهبت الى اجدير بعثة طبية فرنسية برئاسة «ببير باران» رئيس جمعية جرحى الحرب الفرنسيين لزيارة الاسرى . وهكذا تقرر مؤتمر «وجدة» لفتح مفاوضات بين الريف وفرنسا واسبانيا . فجاء الى هذه المدينـة عدد كبير مـن ممثلى الصحافة الدولية مـن بينهم الصحافى البريطانى المغامر «ويليام هاريس» الذى لعب دورا فى السياسة المغربية والذى كانت له اتصالات مع السلطان مولاى عبد العزيز . وهكذا بدات المفاوضات يوم 22 ابريل 1926 ، وكان يمثل فرنسا الجنرال سيمون بصفته رئيس الوفد الفرنسى وعضوية الوزير المفوض «بانصو» و«دوكلو»

مدير الشؤون الاهليـة للحماية . وضم الوفـد الاسبانى الوزير المفوض «لوبيز اوليفان» و«الكومندار اغيلار» و«القبطان ميكيل» . اما الوفد الريفى فكان يتراسه أزرقان وزير خارجية الريف ، وعضوية احمد الشادى ومحمد بن حيتمى والقائد حدو . وفى يوم 16 ماى 1926 انهى مؤتمر وجدة اشغاله ، وقد رفض الوفد الريفى الشروط التى فرضت على الثورة الريفية وعلى زعيمها وعاد الى اجدير ليخبر محمد عبد الكريم بنتيجة المفاوضات . ولقد عرف الجميع على اثر انتهاء المؤتمر ان المفاوضات فشلت ، لهذا قام الزعيم الريفى وامر المجاهدين باستئناف القتال ضد القوات الفرنسية والاسبانية.

∞

استسلام القائد

تقدمت الجيوش الفرنسية خلال ابريل 1925 لمهاجمة قبائل ورغة التى تعتبر حصونا امامية للمناطق الريفية بدعوى حماية القبائل التى تحت النفوذ الفرنسى من مهاجمة الريفيين . وكانت الصحف الفرنسية تتحدث عن الاستعدادات العسكرية الفرنسية فى جنوب المغرب لمحاربة ثورة الريف . وكما راينا سابقا ، وصلت الجيوش الريفية على بعد سبعة وعشرين كيلو مترا من فاس ، وقد اعتقد محمد عبد الكريم ان هناك كمينا دبرته لقواته الجيوش الفرنسية ، ولكن الحقيقة ان الاقامة العامة الفرنسية ارهبها الهجوم الريفى ، فاتبعت نفس السياسة التى اتبعتها فرنسا سنة 1914 حينما هجمت الجيوش الالمانية ، وكانت فى طريقها الى باريس . فأمر محمد عبد الكريم القوات الريفية ان ترجع الى المنطقة الجبلية ، ولو عرف الخطة الفرنسية لاحتل فاس . وبعد ذلك جاء الماريشال «بيتان» الى المغرب ومعه آلاف الجنود لقيادة الحرب ضد الريف بينما اشتغل المقيم العام «ستيغ» بالشؤون السياسية فى جنوب المغرب . وقام القائد المذبوح بأمر من السلطات الفرنسية يطلب من القبائل الريفية ان تدخل فى الحرب ضد محمد عبد الكريم وبجانب فرنسا التى تقدم لها السلاح والمال ، واستطاع القائد المذبوح ان يقنع القائد الريفى عمار بن حاميدو لان يصبح عميلا فرنسيا ، وقد جاء مع هذا القائد عدد من قبيلتى الغزناية والمطالسة لتحارب بجانب الجيوش الفرنسية . وسبق للمجاهدين ان قضوا على هجوم قام به القائد المذبوح ضد مركز ريفى ، واستولوا على الاسلحة الفرنسية وجرح

القائد المذبوح . وفى ابريل ايضا ، احتل المجاهدون مركز بنى درقول الفرنسى وقتلوا جميع الجنود الفرنسيين الدين كانوا يحرسونه . وقد رفض محمد عبد الكريم محاربة الجيش الفرنسى فى «كيفان» بسبب تفوق العدو العددى .

وقد اصبحت فرنسا مثل اسبانيا تريد اغتيال محمد عبد الكريم ، وحاولت بواسطة القائد المذبوح تحقيق غايتها ، ولكن المشروع فشل . وسبق ايضا لاسبانيا ان حاولت اغتيال الزعيم الريفى . ويقول علال الفاسى فى هذا الموضوع فى كتابه (الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى) : «حدثنى محمد عبد الكريم بالقاهرة : ان الكولونيل «مونتيسيريو» القائد الاسبانى لمعركة النكور اتفق ذات مرة مع محمد بن الحاج ومحمد افقير المكنى عند الاسبانيين «ببايزنكى» على تسميم الامير ، وكان حاضرا على الاتفاق ابن سعيد السلاوى ، وحمل افقير قنينة سم ، وجاء معه ثلة من الاسبانيين حاملين عديدا من الديناميت لنسف دار الامير بعد تسميمه . وما وصل الى اجدير حتى بلغ الامير ما قدم من اجله ، وقدم له القنينة ، وحمل به الاسبانيين الذين معه كأسرى ، وناهيك باخلاص هذا الرجل الشعبى الذى اقل ما يقال عنه ان اخلاصه لبلاده لم يكن واضحا الى حد لا يثق به الاسبانيون ويتآمروا معه على الفتك ببطل الريف ، ويضعوا تحت تصرفه افرادا من مواطنيهم للقيام بالاستفادة من الدهشة التى تعترى الجمهور بعد قتل رئيسه» .

وقام الضباط الفرنسيون بدعاية واسعة النطاق فى الريف «تطلب من اهل الريف وقف القتال للنجاة من الهلك ، لان فرنسا تتوفر على جيش عرمرم فى استطاعته القضاء على جميع الثوار» . لهذا استطاع «الكابتين شميت» بمرافقة العميلين المذبوح وعمار بن حميدو احتلال مركز «برابر» الريفى لان المجاهدين اعتقدوا ان الجماعة التى يقودها «شميت» وعددها ثلاثمائة رجل اكثرهم مغاربة من قبيلة الغزناية ما هى الا قسم من آلاف الرجال الهاجمين على «برابر».

وبعد فشل مؤتمر وجدة ، كان الماريشال «بيتان» والجنرال «نولان» يتوفران على مائتى الف جندى ، وكانت القوات الاسبانية تتكون من نفس العدد بقيادة الجنرال «سان خويغو» . ومن دار القائد محاند «ببورد» ، كان الجنرال «مارتى» على راس ثلاث فرق ، واحدة بقيادة الجنرال «ايبوص» والثانية بقيادة الجنرال «فيرنوا» ، والثالثة قد تكونت من «الكوم» المغاربة ورجال القبائل بقيادة الكابتين «شميت» ومعه المذبوح قائد التسول وعمار بن حميدو قائد مرنيسة والبشير قائد البرانس ، بالاضافة الى مجموعة من ضباط الاستعلامات .

وفى يوم 8 ماى 1926 جرت معركة بجانب جبل «اواوريت» بين القوات الريفية بقيادة القائد شعيت نموح والقوات الفرنسية بقيادة الجنرال «ايبوص» والجنرال «ضوص» ، وقد استطاعا نظرا لتفوق عدد قواتهما ان يفرضا على المجاهدين الانسحاب من ارض المعركة، كما سقط مركز «بوزينب» فى يد الجيوش الفرنسية . واحتل الجنرال «فيرنوا» مركز «رودفى» الواقع على الف وسبعمائة وثلاثة وستين مترا فوق سطح البحر ، واحتل الجنرال «ايبوص» يوم 11 مايو منطقة «ايستريكان» التى تفتح الطريق لتارغيست. واحتلت الجيوش الاسبانية «تيماسنت» مركز قيادة محمد عبد الكريم ومنطقة انوال وذلك يوم 15 ماى . وفى يوم 21 من نفس الشهر جاءت جماعة بنى عمرت الساهرة على حماية تارغيست لتستسلم للجيوش الفرنسية عند الكولونيل «كوراب» . فأذن هذا الضابط لجماعة من مساعديه عبور نهر غيس رغم تعليمات القيادة العامة وكانت تمنع الكولونيل «كوراب» عبور هذا النهر ، وبفضل هذه المبادرة احتلت الجيوش الفرنسية تارغيست يوم 23 ماى . وفى اليوم التالى مساء هجم محمد عبد الكريم بنفسه على راس مائة وخمسين مجاهدا على الفرنسيين فى تارغيست وذلك ليأخذ المستندات التى بقيت فى مكاتبه بهذه المدينة . ولكنه لم تترتب اية نتيجة عن هذا الهجوم ، فالتجأ الزعيم الريفى عند الشريف حميدو الوزانى فى سنادة ، وكان مقررا على متابعة المقاومة والالتجاء عند قبائل جبالة الاشاوس الذين بقوا اوفياء له . لهذا اخذ يجمع مائتين وخمسين بغلة لحمل اعضاء عائلته

وامتعته ، وكانت هذه الامتعة عند علي المسناوي في كيمون . وفي يوم 25 ماي جاء حميدو الوزاني الى تارغيست ليعلن للكولونيل «كوراب» عن استسلام قبيلة بني يطاف بصفته رئيسها . وخلال الحديث اعلن ان محمد عبد الكريم يوجد في بيته وانه طلب منه ان يسأل عن شروط «الامان»(I). فكتب الكولونيل «كوراب» الى الزعيم الريفي رسالة يطلب منه فيها ان يسلم نفسه في اقرب وقت اذا اراد ان يتمتع بحماية فرنسا . وكلف الكابتين «سوفرين» رئيس مكتب الاستعلامات في مدينة تازة ، والملازم البحري «مانطاني» الاختصاصي في الشؤون المغربية وحرسا يتكون من عشرة جنود مغاربة بقيادة الملازم «دو لاروزيير» لمرافقة الشريف حميدو الوزاني حامل الرسالة الى الزعيم الريفي . وحوالي السابعة مساء استقبل محمد عبد الكريم في الطابق الاول من زاوية سنادة الضابطين الفرنسيين ، بعد ما طلب من مساعديه مغادرة القاعة . فصرح لهما : «انني لست وحيدا. وان استسلامي سيقضي على عملي في الريف ، فلا زالت عدة قبائل تبدي لي ولاءها وتريد متابعة الجهاد . وواجبي هو ان ابقى معها الى آخر رمق . واذا انسحبت من الميدان بارادتي ، فما يكون مستقبل القبائل ؟ من يقودها ويدافع عن مصالحها ، ولا سيما مع السلطات الاسبانية في موضوع استقرار السلم» ، فطلب الضابطان من محمد عبد الكريم انه من الافضل له ان يستسلم ، فأجابهم بأنه يريد ان يفكر قليلا في ذلك» .

فدامت هذه المقابلة ساعتين ، وخلال هذه الظروف ، عاد «بيير باران» من اجدير الى فاس حاملا رسالة من الزعيم الريفي الى المقيم العام الفرنسي يقدم له فيها اقتراحات حول نهاية الحرب في الريف . وحوالي منتصف الليل يوم 27 ماي 1926 استقبل محمد عبد الكريم الضابطين الفرنسيين بطلب منه وصرح لهما : «اني مستعد ان استسلم للحكومة الفرنسية ، واني سأصدر تعليمات لتحرير الاسرى الفرنسيين والاسبانيين وارسالهم ابتداء من هذا الصباح الى تارغيست» .

(I) تعبير تستعمله القبائل حين يستسلم شخص لآخر بارادته ، فيوعد «بالامان» يعني انه لا يمس بسوء .

وفى الساعة الثانية صباحا توجه محمد عبد الكريم بمرافقة شقيقه محمد وعمه والضابطين الفرنسيين الى تارغيست . وكان الزعيم الريفى ممتطيا جوادا ابيض اللون ، فخرج المجاهدون من الظلام لتحيته وكان المنظر مؤثرا حسب شهادة جميع الاجانب الذين شاهدوا هذه المظاهرة . وفى مركز «تيزمورن» القريب من تارغيست قدم الكولونيل «كوراب» الزعيم الريفى الى الجنرال «ايبوص» . فقال محمد عبد الكريم الى هذا الضابط : «انى اسلم نفسى وامتعتى بيد فرنسا فلى الثقة باحسانها» . فأجاب الجنرال «ايبوص» : «اقدم شكرى لكم بسبب التضحية التى قدمتموها فى سبيل السلم بين شعبينا ، فان فرنسا لن تنس لكم هذه التضحية» .

ثم قدم الجنرال «ايبوص» الى الزعيم الريفى الكولونيل «كوراب» واخبره بأن هذا الضابط سيهتم بمصالحه . وبعد ذلك اعلن الجنرال «ايبوص» للعالم بواسطة آلة ارسال راديو «ان عبد الكريم المغلوب بقوة السلاح قد استسلم صباح هذا اليوم للقوات الفرنسية فجعل بذلك حدا للثورة الريفية التى اثارها» . ثم نقل الزعيم الريفى وحاشيته الى فاس حيث مكث ثلاثة اشهر فى انتظار قرار الحكومة الفرنسية فيما يتعلق به ، وفى هذه الظروف كانت الجيوش الاسبانية قد احتلت الريف بدون مواجهة صعوبات وابتدات من جديد المظالم الاستعمارية الاسبانية ضد السكان . اما فرنسا فقد حاربت محمد عبد الكريم ولم تحصل فى محاربته على شيء باستثناء مدح اسبانيا لها . وقد فقدت فرنسا بضعة سنين من بعد نفوذها فى المنطقة الدولية بطنجة . وفى 1935 ، اصبحت الادارة فى هذه المنطقة اسبانية بعد ما كانت فرنسية من قبل .

المنفى

1. 21 سنة في جزيرة « لاريونيون »
2. الهروب من الباخرة
3. في عاصمة الوطنية والثورة

21 سنة في جزيرة "لاريونيون"

فى نهاية شهر شتنبر 1926 ، نقلت باخرة من الدار البيضاء محمد عبد الكريم واربعين فردا من عائلته من بينهم اخيه وعمه الى فرنسا . وقد سبق للزعيم الريفى ان طلب من الحكومة الفرنسية ان تأذن له بأن يرافقه الى منفاه مائتا شخص ، ولكن الحكومة الفرنسية رفضت هذا العدد واذنت له بأن يرافقه بعض اعضاء عائلته ولا يتعدى العدد اربعين . ومن فرنسا نقلته باخرة ثانية فوصل الى جزيرة «لاريونيون» بتاريخ 10 اكتوبر 1926.

وتألم المغرب الما كبيرا ، ولم يكتم الادباء اعجابهم بشهامة اهل الريف وبطولتهم برغم الضغط الشديد والتنكيل الوبيل الذى كانت تقوم به كل من فرنسا واسبانيا مع اى فرد يظهر عليه عطف على محمد عبد الكريم. ورثى شعراء البلاد بقصائد واناشيد عديدة من بينها مساجلة جرت بين علال الفاسى والحاج المختار السوسى .

والقت السلطات الفرنسية القبض على كثير من قادة الريف وجعلتهم فى اقامة اجبارية فى بعض مدن المغرب ، فوضعت محمد أزرقان (1) فى الدار البيضاء ، وبوجبار (2) فى الجديدة ، والفقيه بولحية فى اسفى ، والقائد حدو فى الصويرة ، اما السلطات الاسبانية فلقد القت القبض على كل قائد

---

(1) لا يزال على قيد الحياة وهو يقيم بطنجة .

(2) تزوجت كريمته فيما بعد بالدكتور عبد الكريم الخطيب رئيس حزب (الحركة الشعبية الديموقراطية) .

ريفى سقط بيدها ونكلت به تنكيلا وبيلا . ومع ذلك فان هؤلاء الرجال مكثوا فى وطنهم يمكن لجميع اصدقائهم وافراد عائلاتهم ان يتصلوا بهم ويسألوا عن احوالهم . اما محمد عبد الكريم وعائلته ، فقد بدا يشعر فى منفاه البعيد بالغربة والوحشة ، ويحن لوطنه واصدقائه ومناصريه .

واهتمت الحركة الوطنية المغربية بالعمل على تخليص البطل عبد الكريم من الاسر وقامت ببذل الجهود لاقناع الحكومة الفرنسية باطلاق سراح البطل المنكوب وعشيرته المظلومة . وقد دعت كتلة العمل الوطنى لهذا العمل سنة 1936 وساعدها فى ذلك الامير شكيب ارسلان ، فكتب عدة مقالات فى صحف المشرق والمغرب ، وجرت بين علال الفاسى والامير عمر طوسون مكاتبة فى موضوع تحرير محمد عبد الكريم . وفى سنة 1937 بذل الحزب الوطنى وسائل عديدة لتحقيق هذه الغاية ، ووالت الصحف المغربية مقالاتها فى الموضوع حتى اقتنع بعض الشيوخ الفرنسيين بتقديم طلب التحرير للجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ ، وقررت اللجنة تضامنها مع الاقتراح ولكن وزارة الخارجية الفرنسية اجابت بأن الوقت لم يحن بعد . وفى سنة 1947 بذل ممثلو الحركة الاستقلالية المغربية بمصر جهودا لدى الجامعة العربية فقدم امينها العام رسالة لوزارة الخارجية الفرنسية يطلب منها تسريح محمد عبد الكريم والسماح له بالرجوع للمغرب .

وبعد خمس سنوات فى المنفى توفت والدة الزعيم المغربى ، وشعر اكثر بالم البعد عن الوطن بالرغم من انه كان ساكنا فى بيت (1) توفرت فيه جميع وسائل الراحة ، وقد اشترته له الحكومة المغربية بمائتى الف فرنك . وكلف الحاكم العسكرى للجزيرة «الكابتين فيرين» للسهر على شؤون محمد عبد الكريم وعائلته . وكانت معاملة هذا الضابط طيبة مع الزعيم المغربى .

---

(1) يعرف هذا البيت الكبير فى جزيرة «لاريبونيون» باسم «الكاصطيل فلورى» ، ولم اعرف ما فعلت به الحكومة الفرنسية .

وكان محمد عبد الكريم يحاول من منفاه التخلص من الاسر لاستئناف الكفاح ، فكتب فى سنة 1932 (1) الى الحكومة الفرنسية يطلب منها ان تنقله الى فرنسا وذلك بسبب مستقبل ابنائه وابناء اخيه . ولكن الحكومة اعتبرت ان الوقت لم يكن ملائما لنقله الى فرنسا ، وفى سنة 1933 ، كتبت صحيفة «بارى سوار» الفرنسية تقول ان الزعيم المغربى يريد الفرار من منفاه ، وقد اجاب فى شهر شتنبر على هذا النبأ فى رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية يقول : «لا افكر فى الفرار ولا فى التآمر ضد فرنسا واسبانيا . فأريد ان يعرف الجميع انى اعطيت وعدا سنة 1926 ، وسأحترمه طوال حياتى ..»

وفى يوم 14 يونيو 1934 ، كتب محمد عبد الكريم رسالة ثانية الى «كاصطا دو ميرغ» رئيس الحكومة الفرنسية يطلب منه فيها ان يأذن له بأن يجعل بين ايدى فرنسا مستقبله ومستقبل عائلته وابنائه» ، ورجى من رئيس الحكومة الفرنسية ان يبحث فى موضوع نقله الى فرنسا او الجزائر او المغرب ..»

وبما ان قبائل بعض المناطق فى المغرب كانت ما تزال ثائرة ضد السلطات الاسبانية والفرنسية ، فاعتبرت الحكومة الفرنسية ان الوقت غير مناسب لنقل الزعيم المغربى من منفاه . وفى يوم 6 نوفمبر 1938 ، كتب محمد عبد الكريم رسالة الى حاكم الجزيرة قال فيها : «منذ اثنتا عشرة سنة ونحن مبعدين عن وطننا محترمين الوعد الذى قطعناه على انفسنا .. واليوم وقد اثقل المنفى صدورنا ، وقد اقبل فيما يخصنى هذا المصير ، ولكن منذ اثنتا عشرة سنة كبر ابنائى فأصبح سنهم ستة عشر وسبعة عشر سنة ، اما البنات الثلاثة فقد اصبح سنهن ما بين خمسة عشر وثمانية عشر سنة .

ان جزيرة «لاريبونيون» لا مستقبل فيها لهذا الشباب ، فيجب قريبا البحث عن عمل للاولاد كما يجب الاهتمام بزواج البنات .

---

(1) «ليون كابرييلى» .

اما الاولاد ، فأريد ان اوجههم الى المهنة العسكرية وان اجعل منهم ضباطا .

اما البنات فلا يمكن ان يفكرن فى انشاء بيت الا اذا رجعن الى المغرب، ولا يمكن لهن فى هذه الجزيرة ان يتزوجن ، وذلك بسبب المنفى وبسبب تقاليدنا وديننا ..» وكادت هذه الرسالة تجعل حدا لمنفى الزعيم المغربى فى جزيرة «لاريبونيون» ولكن الظروف الدولية وقيام الحرب العالمية الثانية، فرضت بقاء محمد عبد الكريم فى منفاه السحيق . وفى ماى 1942 ، وجه رسالة اخرى الى حاكم الجزيرة ، ولم تتحقق رغبته .

وفى يوم 17 ماى 1945 وجه محمد عبد الكريم لحاكم الجزيرة رسالة يعبر فيها بمناسبة «نصر الحلفاء على النازية عن متمنياته الحارة الصادقة».

فى هذه الظروف ، اخذت فكرة تحرير الزعيم المغربى تشق طريقها فى بعض الاوساط السياسية الفرنسية ، وذلك لعدة اسباب . فقد علمت هذه الاوساط خلال هذه السنين ان بريطانيا لعبت دورا هاما فى ثورة الريف ، واسندت لجواسيسها مهمات مختلفة بينما كانت تتظاهر لفرنسا بالوفاء والاخلاص نظرا لتحالفهما الاستعمارى . وتبين لهذه الاوساط ان «كانين» رئيس لجنة الريف البريطانية و«كاردينير» كانا فى الحقيقة جاسوسين بريطانيين ، قام الاول بدور سياسى فى الريف وقام الثانى بدور اقتصادى ، وان بريطانيا قد علمت سنة 1924 ان البترول غزير فى المغرب واسست شبكة من الجواسيس للتحقيق فى هذا الموضوع لتغيير سياستها مع فرنسا وطردها من المغرب اذا دعت المصلحة الاقتصادية ذلك وتبين ان المغرب متوفر على البترول . وقد اكتشف النفط فى هذا التاريخ فى جبل (سلفات) فى مدينة سيدى قاسم الخاضعة للسلطات الفرنسية فى جنوب المغرب ، وقد حدث حريق مهول فى بئر نفط ، ولم تعرف السلطات الفرنسية ابدا المسؤول عن هذا الحريق . وفى سنة 1941 عندما غزت بريطانيا سوريا ، حرمت فرنسا من مصالحها من نفط الشرق الاوسط التى حصلت عليها غداة الحرب العالمية الاولى ، وكانت الاسهم الفرنسية تقدر بـ 75 و23 فى المائة . وفى سنة 1947 اصبحت العلاقات بين القصر

الملكى بالرباط والاقامة العامة الفرنسية تتجه فى طريق جديد اصبح يقلق الحكومة الفرنسية . فقد اصبحت ترى فى صاحب العرش قائدا للوطنية المغربية الذى يسعى لتحرير البلاد من الاستعمار . فبمجرد ما وقع انهزام فرنسا وحلفائها عام 1940 ظنت اسبانيا ان الفرصة سانحة ، فدخلت المدينة الدولية والحقتها بحمايتها ، كما طردت مندوب الجلالة الشريفة وسلمت قصر المندوبية للقنصل الالمانى الذى اتخذه مركز قنصليته ، وقد امضت بريطانيا موافقتها المؤقتة على عمل اسبانيا بينما ظل المغاربة مطالبين بوحدتها وتحريرها . وحينما تم انتصار الحلفاء ، وعادت طنجة للنظام الدولى السابق وصرح الحلفاء بأن نظامها مؤقت وان نظاما احسن ستتم دراسته بعد بضعة اشهر ، بعث جلالة الملك مندوبه من جديد ، فاستقبله الشعب استقبال الفرح المستبشر ، ثم اظهر جلالة العاهل رغبته فى زيارة المدينة بنفسه والمرور بالمنطقة ليؤكد سيادة الشعب المغربى التى يمثلها فى جميع مناطق البلاد . ورغم معارضة الاقامة العامة ، قام صاحب الجلالة محمد بن يوسف بزيارته التاريخية لمدينة طنجة بعد ما عادت لنظامها الدولى وطالب فى خطاب خالد باستقلال المغرب . واصبحت السلطات الفرنسية ترى الشعب المغربى يقاومها وهو متشبث بملكه معلنا الاضراب العام كما حدث على اثر مأساة الدار البيضاء بتاريخ 17 ابريل 1947 . وقد علمت فرنسا ان بريطانيا سعت لتتحقق الزيارة الملكية الى طنجة .. فى هذه الظروف قررت الحكومة الفرنسية نقل محمد عبد الكريم الى فرنسا . فبعث الزعيم المغربى برقية الى «مريوس موطى» الوزير الفرنسى لشؤون ما وراء البحار قال فيها : «اجدد لكم عواطفى الصادقة لفرنسا .. التى ما فتئنا نولى لها اعجابنا العميق الصادق» .

ويقول علال الفاسى فى كتابه «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى» فى موضوع نقل محمد عبد الكريم الى فرنسا : «.. نشرت الصحف الفرنسية ما يدل على ان فرنسا كانت تريد من وراء ذلك تهديد جلالة سلطان المغرب ظنا منها ان فى امكانها استغلال الامير او اخيه فى ارغام جلالة الملك على قبول الانضمام للاتحاد الفرنسى ، وهذا الظن لا ينبنى على اساس صحيح من جهة الامير» .

الهروب من الباخرة

فى شهر مارس 1947 كلفت الاقامة العامة الفرنسية بالرباط «ليون كابرييلى» بالالتحاق بفرنسا وايجاد بيت لمحمد عبدالكريم ولعائلته واستقباله فى ميناء مرسيليا عند وصوله . وغادر المغرب هذا الموظف الفرنسى بمرافقة المراقب المدنى «كوزينى» الذى كلف بدوره بشؤون الزعيم المغربى الادارية التى تترتب عن مقامه فى فرنسا . ولم تكن الاقامة العامة قد اصدرت تعليمات خاصة فى الموضوع ، فاضطر الموظفان الفرنسيان لمقابلة احد المسؤولين بوزارة الشؤون الخارجية الفرنسية للسؤال عن النظام الذى سيخضع له الزعيم المغربى خلال مقامه فى فرنسا . فأجاب الدبلوماسى الفرنسى ان محمد عبد الكريم سيتمتع بالحرية التامة . فطرح «كابرييلى» سؤالا آخر : «وهل يمكن لعبد الكريم ان يستقبل من يشاء ويفوه بتصريحات للصحافة ويقوم بزيارات الى حيث يشاء فى فرنسا ؟» فرد عليه الدبلوماسى الفرنسى: «نعم .. وهذه هى الحياة التى يعيشها فى مدينة «بو» باى تونس السابق ؛ وان وزارة الخارجية الفرنسية لا تفكر فى ان تعامل عبد الكريم خلافا لذلك». فسمح «كابرييلى» لنفسه ان ينصح حكومته بأن تحترس من عبد الكريم ، ثم طرح سؤالا آخر حول القدر من المال الذى ستخصصه الحكومة الفرنسية لعبد الكريم . فأجاب الدبلوماسى ان الحكومة خصصت له ثلاثمائة الف فرنك شهريا . فاحتج «كابرييلى» قائلا :

«يرافق عبد الكريم اثنان واربعون شخصا ، فغير معقول ان يكفيه راتب ثلاثمائة الف فرنك التى لا تمثل حتى راتب ادنى لعامل فرنسى غير متخصص . فاذا كانت لفرنسا نوايا كريمة بالنسبة لوضعية الزعيم المغربى القانونية ، فان نواياها لا تتسم بالكرم بلنسبة لاحواله المادية . فأجاب الدبلوماسى : ان ذلك ما قررته وزارة المالية . وعلى اثر هذه المحادثة ، توجه الموظفان الفرنسيان الى «ايكس أونبروفانس» للبحث عن بيت يناسب محد عبد الكريم ، ويكون قريبا من احدى الكليات ليستطيع ابناؤه متابعة دراستهم تحقيقا لرغبته . وقد رات الحكومة الاسبانية فى نقل زعيم الريف من منفاه الى فرنسا امرا لا يتفق والمعاهدة الفرنسية الاسبانية التى ابرمت فى نهاية حرب الريف ، وطلبت من فرنسا ان يكون بيت الزعيم المغربى بعيدا عن الحدود الاسبانية . فقبلت الحكومة الفرنسية هذا الطلب وقررت ان تجد له بيتـا فى الشاطىء الازرق . وهكـذا وجد «كابرييلى» بيتا فى «فيل نوف لوبى» على بعد كيلو مترين من بيت الماريشال «بيتان» ، وكان هذا البيت يتوفر على صالـون كبير وتسعة وعشرين غرفـة للنوم . وتم التوقيع على عقدة الايجار مقابل خمسمائة الف فرنك شهريا . وبما ان البيت كان فارغا ، فقد تم شراء مليونى فرنك من الاثاث وشراء مواد غذائية لمدة شهر . وجاء الى مارسيليا الطبيب المحبوب وعبد الكريم بن زيان لاستقبال الزعيم المغربى وهما من افراد عائلته الذين مكثوا فى المغرب . فى هذا الوقت بالذات كانت الباخرة البنامية «س. س كاتومبا» تمر عبر قناة السويس حاملة الزعيم البطل وعائلته . وكان قائدها يونانيا مثل جميع ضباط الباخرة وعددهم ستة عشر ضابطا وثمانين من العمال البحريين . وكان عدد الفرنسيين تسعة عشر شخصا من بينهـم ضابطين وطبيب . لقد نزل محمد عبد الكريم بعدن (1) واحتفل به العرب المقيمون هناك ، وبعثوا وفق طلبه برقيات لكثير من المجاهدين بمصر من بينهم محمد على الطاهر صاحب «جريـدة الشورى» والشيخ الخضير بن الحسين رئيس جمعية الهداية الاسلاميـة . وعجل المجاهـد الفلسطينى الكبير محمد على

---

(1) «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى» لعلال الفاسى .

الطاهر المعروف بعطفه القوى على المغرب وبوفائه لابطال العرب كلهم باطلاع علال الفاسى على نص البرقية التى تخبر بحلول الزعيم الريفى فى عدن وموعد خروجه منها والموانىء التى سيمر منها وتاريخ وصول الباخرة التى تقله للسويس وبور سعيد . وكان علال الفاسى قد وصل حديثا الى القاهرة بعد ما قاسى الامرين فى سجنه فى الكابون ، فى افريقيا السوداء حيث قضى ما يقرب من عشر سنين ، فاجتمع زعيم حزب الاستقلال بأعضاء الحزب واعضاء حزب الاصلاح الموجودين فى القاهرة وقرروا ارسال وفد لتبليغ محمد عبد الكريم وعمه عبد السلام واخيه محمد تحيات الحزبين باسم المغرب كله . وسافر الوفد الى السويس واستطاع الصعود للباخرة والاتصال بالزعيم المغربى الذى ادلى للصحافيين بتصريحات كثيرة كان من بينها انه لو خير لاختار البقاء فى مصر . وفد اعرب محد عبد الكريم للوفد المغربى عن رغبته فى زيارة مصر وتحية ملكها ثم كتب رسالة حملها الوفد المغربى لرئيس الديوان الملكى المصرى مما قال فيها : «اغتنم الفرصة السعيدة بوجودى فى المياه المصرية فى شاطىء مصر زعيمة العروبة والاسلام ، فأرفع الى مقام جلالتكم اجل التحيات وخالص الشكر على ما تبذلونه فى سبيل مجد العروبة ومستقبلها العظيم» .. ومن الغد سافر علال الفاسى والحبيب بورقيبة وعبد الخالق الطريس ووفد من مكتب المغرب العربى يضم عبد المجيد بن جلون ومحمد بن عبود للسلام على محمد عبد الكريم حين وصوله لبور سعيد ، وقد صعد معهم على ظهر الباخرة ممثلو السلطات المصرية والاحزاب السياسية وكثير من الصحافيين واعيان المدينة .

وقد تنحى شقيق الزعيم المغربى مع علال الفاسى جانبا واخبره برغبة اخيه فى البقاء فى مصر ، وكان محمد عبد الكريم قد طلب النزول للتجول قليلا فى البر ، فذهب توا الى محافظة الميناء حيث بلغه المحافظ تحية الملك فاروق وشكره له على الرسالة الرقيقة التى بعثها اليه بمناسبة مروره بالمياه المصرية ، وحينئذ اعرب محمد عبد الكريم لممثل الملك المصرى بالمدينة عن التجائه الى حمى مصر فرارا من الاستمرار فى الاسر الفرنسى ، وليتمكن من تعليم اولاده باللغة العربية ، فوعده المحافظ بتبليغ طلبه للملك وللحكومة

المصرية ، وبعد ان تجول محمد عبد الكريم واخوه وعمه وافراد اسرته فى المدينة عاد الكل للباخرة حيث قضوا ليلتهم فى انتظار الصباح .

وفى الساعة العاشرة من ثانى يونيو 1947 نزل البطل المغربى مرة اخرى الى البر وتوجه للمحافظة ، فبلغه المحافظ باسم الملك فاروق قبول التجائه وقبله فؤاد شيرين باسم ملك النيل طالبا منه ان يعتبر نفسه واسرته فى ضيافة عاهل مصر .

رجع الى القاهرة وفد المغرب العربى ، وفى المساء وصل محمد عبد الكريم واخوه وبعض افراد عائلته فى سيارة ملكية للعاصمة المصرية ، وقد اعرب الزعيم المغربى عن رغبته فى الذهاب توا للقصر الملكى حيث سجل فى دفتر التشريفات «شكره العميق وتحيته الصميمة لجلالة ملك النيل» . وقد وجد فى استقباله ثابت بك مستشار الملك الصحافى ومحمد حكمى بك ورئيس التشريفات سيف النصر بك ، وبعد ذلك رجع محمد عبد الكريم الى مكتب المغرب العربى حيث وجد فى انتظاره ممثلى الحركات الاستقلالية بشمال افريقيا وممثلى الصحف ومئات الشخصيات . وقد القيت خطب وقصائد فى الترحيب به ، كما القى هو كلمة قصيرة عبر فيها عن امتنانه لمصر ولملكها وشكره للجامعة العربية ولمجاهدى المغرب العربى ، ثم توجه الى قصر انشاص ضيفا على الملك فاروق بينما بقى اخوه محمد وعمه عبد السلام الخطابى وافراد الاسرة بمنازل الزعماء المغاربة ريثما تتهيأ لهم السكنى الخاصة .

وفى يوم الجمعة 5 يونيو استقبل الملك فاروق محمد عبد الكريم فى مقر ضيافته بأنشاص ، ودعاه لتناول الغذاء معه على المائدة الملكية . وقد حضر هذه المأدبة كريم ثابت بك وحلمى بك ومحمد بن عبود الذى انتدبته الحركة المغربية لمرافقة الزعيم المغربى والعناية به . وقد استمع الملك فاروق مليا لحديث ضيفه وسأله عن انباء الحرب الريفية ، وقد صرح الملك المصرى بأنه لا يقصد من استضافة محمد عبد الكريم والعناية به اى غرض سياسى ، وكل ما هنالك انه يعتقد ان الواجب يقضى عليه بحماية مجاهد عربى ضحى فى سبيل بلاده ، كما صرح بأنه يحمل كامل العطف والتقدير لجلالة سلطان المغرب سيدى محمد بن يوسف .

ثم لاحظ الملك المصرى ان صحة ضيفه متعبة قليلا ، فعرض عليه الاقامة بمستشفى فؤاد بالاسكندرية بضعة اسابيع تحت عناية الاطباء ، كما بلغ ضيفه ان الحكومة ستعنى بتهيئة مقر لاقامة محمد عبد الكريم واسرته .

وبعد تناول الغذاء ذهب الملك فاروق وضيفه للديوان الملكى حيث شربا القهوة . اما شقيق الزعيم المغربى وبقية افراد الاسرة ، فقد ظلوا بمكتب المغرب العربى حيث اخذ مئات المهنئين والزائرين والوفود من الوزراء والسفراء وكبار الشخصيات يترددون عليهم . وكان حديث الكل عن الاعجاب بجهود الابطال المغاربة من اجل التحرير منوهين بهمة ملك مصر وعظيم فضل شعبه .

اما الصحافة المصرية والعربية ، فقد ظلت شهرين كاملين تحرر المقالات الضافية والفصول البليغة عن القضية المغربية وجهاد رجالها ، ولا تترك فرصة تمر الا وتنشر للضيف الكبير الاحاديث الطيبة ، وتعلق عليها بما يفيد قضية المغرب ويرفع من شأن رجاله . ويقول علال الفاسى فى هذا الموضوع : «اذا كان لنا ان نعبر عن لسان المغاربة فى هذه المناسبة السعيدة ،فمن الواجب علينا ان نسجل اعترافنا بالجميل الذى طوقنا به جلالة الفاروق وحكومة النقراشى باشا ورجال الصحافة المصرية وسائر رجال الجامعة العربية بما ابدوه من عظيم الاهتمام بقضيتنا وتحرير امجد اسير من اجل بلادنا والسماح لحركتنا بالاستفادة من مجده وشهرته العالمية الكبرى» .

أما صدى تحرير محمد عبد الكريم ورفاقه فى المغرب وبقية اقطار افريقيا الشمالية فقد كان عظيما جدا ، ولقد توالت برقيات التهنئة على مركز حزب الاستقلال بالرباط ، وبعث احمد بلافريج الامين العام برقية الى زعيم الحزب علال الفاسى معبرا عن كامل ارتياح الشعب المغربى لهذه المفاجأة السعيدة ، وانها كانت خير معالج للصدمة التى واجهه بها الاستعمار حين عين الجنرال جوان مقيما عاما فى المغرب فى ظروف الزيارة الملكية لطنجة .

كما بعث ممثلو الحركات الوطنية بتونس والجزائر والمغرب تهانيهم لمحمد عبد الكريم وشكرهم الجزيل لملك مصر وحكومته وشعبه واعجابهم بمجهودات ممثلى المغرب العربى فى مصر . وقد سر جلالة سلطان المغرب سيدى محمد بن يوسف لهذه المأثرة المصرية العظيمة .

ولم يكن الاثر فى نفوس المسلمين بالهند والصين ومهاجرى امريكا وافريقيا السوداء واستراليا بأقل من الاثر فى نفوس المغاربة ، ولقد وصلت برقيات التهانى والشكر الى القاهرة من جميع انحاء المعمورة ، وكلها تضامن مع المغاربة فى جهادهم واستبشار باطلاق سراح البطل الريفى وثناء على همة ملك وادى النيل وشعبه النبيل .

اما اثر الحادث فى نفس الحكومة الفرنسية فقد كان عنيفا ، وصرح متحدث بلسان وزارة الخارجية الفرنسية على ما روته وكالات الانباء يوم 31 مارس 1947 ان نزول محمد عبد الكريم ببور سعيد احدث اندهاشا عظيما فى الاوساط الحكومية الفرنسية ، وصرح هذا المتحدث بأن المناقشة فيما يمكن عمله من الوجهة الدبلوماسية لا يمكن ان تقع الا بعد ان تكون الوزارة قد توفرت على المعلومات الكافية فى الموضوع .

اما فيما يخص منهج الحكومة الفرنسية فى معاملة محمد عبد الكريم فقد قال الناطق بلسان وزارة الخارجية : «ان محمد عبد الكريم استسلم لفرنسا سنة 1926 ، والتزم بالبقاء تحت الحكم الفرنسى ، وكان سلوكه دائما حسنا ، وقد قبلنا واحترمنا دائما كلامه المؤكد بشرفه ، والعمل الذى قام به اليوم بعد سلوكه النبيل منذ التزم لفرنسا احدث فى نفوسنا دهشة عظيمة» . ثم اضاف المتحدث الرسمى قائلا : «حينما استسلم الزعيم الريفى لنا سنة 1926 اتفقنا مع الحكومة الاسبانية على حراسته مخافة القيام بثورة اخرى فى افريقيا الشمالية» . وحينما سئـل المتحدث هل من المنتظر ان يحدث عمل محمد عبد الكريم رد فعل رسمى لدى الحكومة الاسبانية ، اجاب بأنه من اقوى الممكنات ان تبعث الحكومة الاسبانية احتجاجا لمصر وتطلب من الحكومة الفرنسية توضيحات عن نزول زعيم الريف فى بور سعيد . ولكن الواقع ان الحكومة الاسبانية لزمت الصمت ، ولم ترفع ادنى احتجاج

للحكومة المصرية ولا طالبت فرنسا بايضاح ما . اما فى فرنسا نفسها فقد طالب احد اعضاء البرلمان الفرنسىمن انصار الحركة الجمهورية الشعبية من حكومة بلاده توضيحا فى الموضوع. فصرحت وزارة الخارجيةالفرنسيةبأنها استقدمت سفيرها فى مصر وحاكم جزيرة «لاريبونيون» للاستشارة معهما قبل ان تقرر ما يلزم اتخاذه من التدابير، واجتمع مجلس الوزراء فى اليوم نفسه واستمع لبيانات وزير الخارجية ووزير المستعمرات ، وقد اكد الاثنان ان نزول محمد عبد الكريم بمصر تم باغراء من طرف الحكومة المصرية ، ولما سئل وزير الانباء عن مصير العلاقات الفرنسية المصرية بسبب هذا الحادث ، قال انه ليس هناك تفكير لحد الآن فى قطع هذه العلاقات ، وان البث فى هذا الموضوع يتوقف على اتمام الاستعلامات التى تجمعها الحكومة الفرنسية ، ثم قال ان احتياطات عديدة ستتخذ فى افريقيا الشمالية .

وفى ثانى يونيو روت وكالات الانباء ان وزير الخارجية الفرنسية «جورج بيدو» سلم لسفير مصر بباريس احتجاجا شديد اللهجة على ما سماه «جورج بيدو بتآمر الحكومة المصرية على تهريب محمد عبد الكريم» ، واجابه سفير مصر ان بلاده لم تقم الا بما هو من حقها فى قبول لاجىء سياسى التجأ اليها .

اما الصحافة الفرنسية فقد اخذ الموضوع منها اهتمام الصفحات الاولى بضعة اسابيع ، ولخص «روجى ماسيبى» فى صحيفة «الفيكارو» الراى العام الفرنسى الذى يحس بعدم تقدير الدول الكبيرة له فى موقفه من هذه القضية فقال : «ان الراى العام الفرنسى يشعر جدا بخجل من الاهانة التى لحقت فرنسا ، ويبدو له ان بلادا قبلت مثل تضحياته فى سبيل النصر المشترك ولو اصيبت بجرح وضعف بل لانها اصيبت بجرح وضعف تستحق معاملة اجود من طرف الامة الكبيرة ـ يعنى بريطانيا ـ التى كانت فرنسا دائما صديقة لها عظيمة الاخلاص والتجرد» .

واما الصحف البريطانية والامريكية فقد اهتمت كثيرا بالحادث ، ووصفت تفاصيله واشادت ببطل الريف وسمعته فى المشرق والمغرب ، وكان الحديث عنه فرصة عظيمة لنشر الحالة فى المغرب ومقدار الاستياء الذى

بعمها ، وقد استغله عزام باشا حينما كان فى امريكا للتنديد بالعمل الفرنسى فى الشمال الافريقى ، كما استفاد منه مبعوث الحركات الاستقلالية المهدى بنونة فى المدة التى اقامها بامريكا .

واما الصحف الاسلامية فى الهند والصين وتركيا ، فقد تضامنت مع مصر فى موقفها ، وايدت نقطة الضعف الموجودة فى السياسة الفرنسية . وقد كتبت جريدة «وقت» تقول : «هل اتخذ محمد عبد الكريم هذا الموقف ليحيا حياة هنيئة فى ظل الجامعة العربية ، او ان عمله هذا جزء من برنامج نظمه زعماء المغرب الموجودين فى مصر ؟ الذى لا شك فيه ان الغرض الثانى هو منشأ سائر التخوفات الفرنسية ، ولكن موقف فرنسا من الوجهة القانونية ضعيف جدا ، هل يوجد قانون فرنسى يلزم الزعيم الريفى ان يقيم بفرنسا بعد ما تقرر تحريره؟..»

وطبيعى ان هذه الموجة الشديدة التى غمرت الصحف الفرنسية والاوساط الحكومية لم تلبث ان اخذت تنقشع ، اذ ادركت الحكومة الفرنسية ضعف موقفها ، فلم يزد وزير الخارجية الفرنسية على ان صرح فى البرلمان الفرنسى : «باعتبار محمد عبد الكريم خائنا لوعده الذى تلزمه التقاليد والاوامر الاسلامية باحترامه» ، ولكن البطل الريفى صرح غير ما مرة بأنه لم يرتبط قط بوعد ما نحو الحكومة الفرنسية لان اعتقاله لم يكن باختياره» .

ويقول علال الفاسى فى هذا الموضوع : «ان الولاة الاستعماريين الفرنسيين هم الذين لم يفوا للبطل المغربى ، فانه لم يستسلم الا بعد مخابرات بينه وبين ممثلى فرنسا العسكريين والمدنيين انتهت بأن اعطته الحكومة الفرنسية «الامان» التام على نفسه وعلى اهله ، وفرنسا فى موقفها ذاك لم تكن تدعى غير تنفيذ رغبة سلطان المغرب الذى حاربت محمد عبد الكريم بدعوى انه ثار عليه وخرج عن طاعته ، واذن فقد كان واجبا عليها ان تحترم العرف المغربى والتقليد العسكرى فى البلاد فيما يخص «الامان»، وذلك يقضى بعدم اعتقال المؤمن بحال ، بل باطلاق سراحه وتركه حرا بمجرد القائه السلاح ، لان تقاليدنا تقضى بأن الذى تنزل على شرط الامان لا تملك

الدولة عليه حكما ، اما الذى استسلم من غير قيد ولا شرط فهو الذى يمكن ان يعاقب او يعفى عنه بمقتضى ما يراه ملك البلاد صالحا» .

اما الباخرة «س. س. كاطامبا» ، فوصلت الى ميناء مرسيليا يوم 4 يونيو 1947 ، حاملة سبعة «طن» عفش (I) الزعيم المغربى لانه عند نزوله فى بور سعيد لم يأخذ هو واهله الا ملابسهم . وكان ضمن هذا العفش صندوق كبير وزنه سبعمائة وثمانين كيلو كان داخله رفاة والدة الزعيم البطل التى وافاها الاجل فى المنفى . وقد نقل هذا النعش بعد ثمانية عشر شهرا الى المغرب وذلك بواسطة الباخرة ودفنت الفقيدة فى مدينة اسفى بحضور بعض المسؤولين الفرنسيين . اما عفش محمد عبد الكريم ، فقد استلمته مصلحة الاستعمار ووضعته بعد ختمه فى احد مخازنها .

وهكذا ، فان التجاء البطل المغربى الى مصر وضع حدا لطمع الفرنسيين فيه ، وخلص كرامته ومجده من ان تتطلع اليهما مطامع الاستعمار الدنيئة وقلب البرامج الاستعمارية كلها بخصوص المغرب ، اذ سمح لمحمد عبد الكريم ان يكون مرة اخرى رمزا لحركة التحرير فى المغرب العربى بأجمعه.

(I) ارسل العفش الى الزعيم المغربى بالقاهرة بعد سنة ، وذلك بعد موافقة الحكومة الفرنسية وتدخل الحكومة المصرية لديها .

عبد الكريم الخطابي الاب وعن يمينه محمد وعن يساره محمد

في عاصمة الوطنية والثورة

اهتم محمد عبد الكريم بتنظيم شؤون عائلته الكبيرة فى القاهرة . وقد خصصت لها الحكـومـة المصرية للسكنى قصر انشاص ، ثم تفرقت العائلة ، وسكن الزعيم المغربى فى بيت فى شارع سعد زغلول ، وسكن شقيقه وعمه فى منطقتين اخريين من العاصمة المصرية . وكان لمحمد عبد الكريم زوجتان انجب منهما خمس بنات وستة اولاد ، وانجب شقيقه محمد اربعة اولاد ، وانجب عمه عبد السلام الخطابى ثلاث بنات وولدين . وقد دخل هؤلاء الى مدارس وكليات القاهرة لتتميم دراستهم . وخصصت الحكومة المصرية راتبا شهريا للعائلات الثلاثة ، مكنتها من ان تعيش مطمئنة . وقدمت السلطات المصرية لعائلـة محمد عبد الكريم جميع المساعدات التى كـان يحتاجها كل فرد منها . وفى شهر يوليو 1953 توفى عبد السلام الخطابى وعمره يتجاوز الثلاث والسبعين سنة ، ودفن فى القاهرة .

وكان وصول الزعيم المغربى الى مصر قد وافق الفترة التى اعتبر فيها بعض زعماء اقطار المغرب العربى ان الحوار مع الاستعمار لم يعد يجدى نفعا بعد ما بذلوا محاولات فى هذا المضمار وقرروا فتح طريق الحرية بدفع الاستعماريين بوسائل العنف الى الاستجابة الى مطالب الوطنيين . وكانت الحرب التحريرية التى قادها بطل الريف خير مثال يجب على شعوب افريقيا الشمالية الاقتداء به للتحرر من السيطرة الاستعمارية .

الدكتور عمر الخطابى ابن عم محمد
عبد الكريم فى عيادته فى القنيطرة .

لقد اوصى مؤتمر المغرب العربى الذى انعقد فى القاهرة قبل تحرير محمد عبد الكريم فى المادة الثانية من فصل تنسيق الحركات الوطنية على «تكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط وتنسيق العمل لكفاح مشترك» ، فلما نزل البطـل الريفى بالقاهرة اتجهت انظار الوطنيين جميعا لتحقيق هذه التوصية بكيفية اوسع تحت رئاسة زعيم المغرب العربى ومجاهده الاول ، وقد كان فى الدعوة التى وجهها البطل نفسه للاحزاب المغربية ميسرا لتحقيق هذا الامل . ولكن الامر احتاج الى مجهودات لتوحيد وجهة النظر فيما يرجع للخطط التى ينبغى ان تسير عليها احزاب المغرب العربى فى الداخل والخارج . وبعد مداولات ومناقشات عديدة اتفق على تأسيس «لجنة تحرير المغرب العربى» . وفى اليوم التاسع من ديسمبر 1947 تم اقرار القانون الاساسى للجنة وتكوين مكتبها المؤقت

على ما يلي :

- الرئيس : محمد عبد الكريم الخطابي .
- وكيل الرئيس : محمد عبد الكريم الخطابي شقيق الزعيم .
- الامين العام : الحبيب بورقيبة (الدستور) .
- امين الصندوق : محمد بن عبود (حزب الاصلاح المغربي) .

وانتخب محمد عبد الكريم رئيسا بصفة دائمة ، واخوه وكيلا للرئاسة بصفة دائمة ايضا . اما الامين العام وامين الصندوق فقد انتخبا لمدة ثلاثة اشهر ، وقد بعث رئيس اللجنة للاحزاب في جميع اقطار المغرب العربي كلها كتابا يخبرهم فيه بالتأسيس ويطلب مصادقتهم الرسمية وتعيين ممثليهم .

وفي يوم 5 يناير 1948 وزع البطل الريفي وثيقة التحرير على الصحافة العربية والاجنبية التي خصصت لها مكانا ممتازا ، وابدت بها ترحيبا كبيرا وهذا نص البيان التاريخي الذي اذاعه محمد عبد الكريم :

«منذ ان من الله علينا باطلاق سراحنا والتجائنا الى ساحة الفاروق العظيم ، ونحن نواصل السعي لجمع كلمة الزعماء وتحقيق الائتلاف بين الاحزاب الاستقلالية في كل من مراكش والجزائر وتونس بقصد مواصلة الكفاح في جبهة واحدة لتخليص البلاد من ربقة الاستعمار» .

وفي هذا الوقت الذي تعمل فيه الشعوب على تطمين مستقبلها وتتطلع فيه جماهير المغرب العربي الى استرجاع استقلالها المغصوب وحريتها المضاعة يتحتم على جميع زعماء المغرب ان يتحدوا ، وعلى كافة الاحزاب الاستقلالية ان تتآلف وتتساند ، اذ ان هذا هو الطريق الوحيد الذي سيوصلنا الى تحقيق غاياتنا وادراك امانينا .

. واذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها تحتاج الى التساند والتعاضد لتثبيت سيطرتها الاستعمارية فنحن احوج الى الاتحاد واحق به من اجل احقاق الحق وتقويض اركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا ، ففرق كلمتنا ، وجزأ بلادنا ، وابتز خيراتنا ، واستحوذ على مقاليد امورنا،

ووقف حجر عثرة فى سبيل تقدمنا ورقينا ، ثم حاول بكل الوسائل ان يقضى على جميع مقوماتنا كامة عربية مسلمة .

ويسرنى ان اعلن ان جميع الذين خابرتهم فى هذا الموضوع من رؤساء الاحزاب المغربية ومندوبيها بالقاهرة قد اظهروا اقتناعهم بهذه الدعوة واستجابتهم لتحقيقها وايمانهم بفائدتها فى تقوية الجهود وتحقيق الاستقلال المنشود . ولقد كانت الفترة التى قطعناها فى الدعوة للائتلاف خيرا وبركة على البلاد فاتفقت مع الرؤساء ومندوبى الاحزاب الذين خابرتهم على تكوين «لجنة تحرير المغرب العربى» من سائر الاحزاب الاستقلالية فى كل من تونس والجزائر ومراكش على اساس مبادىء الميثاق التالى :

ا) المغرب العربى بالاسلام كان ، وللاسلام عاش ، وعلى الاسلام سيسير فى حياته المستقبلة .

ب) المغرب جزء لا يتجزا من بلاد العروبة ، وتعاونه فى دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الاقطار العربية امر طبيعى ولازم.

ج) الاستقلال المأمول للمغرب العربى هو الاستقلال التام لكافة اقطاره الثلاثة (تونس والجزائر ومراكش.

د) لا غاية يسعى اليها قبل الاستقلال .

هـ) لا مفاوضة مع المستعمر فى الجزئيات ضمن النظام الحاضر .

و) لا مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال .

ز) للاحزاب الاعضاء فى «لجنة تحرير المغرب العربى» ان تدخل فى مخابرات مع ممثلى الحكومة الفرنسية والاسبانية على شرط ان تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المخابرات اولا بأول .

ح) حصول قطر من الاقطار الثلاثة على استقلاله التام لا يسقط على اللجنة واجبها فى مواصلة الكفاح لتحرير البقية .

هذا هو الميثاق الذى قطعنا على انفسنا العهد بالسير على ضوئه ، والعمل بمقتضى مبادئه وقد وافقت عليه انا وشقيقى محمد ، كما وافق عليه رؤساء الاحزاب المغربية التالية ومندوبوها :

- الحزب الحر الدستورى التونسى القديم .
- الحزب الحر الدستورى التونسى الجديد .
- حزب الشعب الجزائرى .
- حزب الوحدة المغربية .
- حزب الاصلاح الوطنى .
- حزب الشورى والاستقلال .
- حزب الاستقلال .

وقد كتبنا لبقية الاحزاب الاخرى نطلب موافقتها النهائية على تكوين اللجنة والمصادقة على ميثاقها وتعيين مندوبيها فى اللجنة بصفة رسمية، ومنذ الآن ستدخل قضيتنا فى طور حاسم من تاريخها ، وسنواجه المغتصبين ونحن قوة متكتلة تتكون من خمسة وعشرين مليونا كلها مجمعة على كلمة واحدة ، وتسعى لغاية واحدة ، هى الاستقلال التام لكافة اقطار المغرب العربى .

وسنعمل على تحقيق هذه الغاية بكل الوسائل الممكنة فى الداخل وفى الخارج كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ، ولن يجد المستعمر بعد اليوم لتثبيط عزائمنا وايقاع الفتنة بيننا واستغلال تعدد الاحزاب وتفرق الكلمة لاستعبادنا وتثبيت اقدامه فى بلادنا .

فنحن فى اقطارنا الثلاثة نعتبر قضيتنا قضية واحدة ، ونواجه الاستعمار متحدين متساندين ، ولن يرضينا اى حل لا يحقق استقلالنا الناجز وسيادتنا التامة ، على اننا نأمل ان يعمل الفرنسيون والاسبانيون على انصافنا دون ان يلجئونا الى اراقة الدماء ، وان يكونوا قد تيقنوا من تجاربهم السابقة من ان استنادهم الى القوة والبطش للاحتفاظ باستعمار اوطاننا واسكات صوتنا عن المطالبة بالحرية والاستقلال اصبح لا يجدى شيئاً ، وان من الخير لهم ان يسارعوا الى فك اغلالهم الاستعمارية بطريق التفاهم بين الجانبين ، وتقدير مصالح الطرفين . اما اذا تنكبوا هذا الطريق فسيكونون المسؤولين عن تغيير خطتنا ، لاننا لن نتأخر - اذا

نحن يئسنا من استرجاع استقلالنا بطريق التفاهم والاقناع – عن استرجاعه بطريق التضحية وبذل النفوس .

وانني اذ اعلن عن تكوين «لجنة تحرير المغرب العربي» اتوجه الى الشعوب المغربية بتحيتي راجيا من الله العلي القدير ان يوفقها في كفاحها ويقوى ثباتها ويديم اتحاد كلمتها .

كما اتوجه الى الشعوب والدول العربية بالتحية والشكر على مناصرتها لقضية المغرب العربي ، ولا يخالجني شك في انها ستستقبل تكوين هذه اللجنة بالمؤازرة والتأييد والترحيب .

ويسرني في الختام ان احيي اخواننا مجاهدي فلسطين الشقيقة ، داعيا لهم بالفوز والنصر ، ومؤكدا لهم تضامن الاقطار المغربية معهم ، وعزمها على اتخاذ جميع الوسائل الممكنة للاشتراك في انقاذ بلادهم والمحافظة على عروبتها ووحدتها» .

وهكذا كان محمد عبد الكريم مرة ثانية ومن القاهرة الصوت الذي تحدى الدول الاستعمارية باسم شعوب المغرب العربي ، واصبح العالم يتحدث عنه من جديد . وقد كتب اليه «ماو تسيتونغ» زعيم الصين يهنئه بالعودة الى مركز القيادة من جديد ، كما كتب اليه «هوشيمنه» زعيم الهند الصينية يطلب منه استعمال نفوذه لدى الجنود المغاربة العاملين في الجيوش الفرنسية لعدم الذهاب الى الهند الصينية لمحاربة الوطنيين هناك . وقد لبى محمد عبد الكريم طلب «هوشيمنه» وحرض المواطنين في شمال افريقيا بعدم محاربة الوطنيين في الهند الصينية ، واستجاب الكثير لنداء الزعيم المغربي . ولما قامت الحرب بين اسرائيل والدول العربية ، اعرب محمد عبد الكريم عن تأييده الكامل للمقاومة التي كانت تقودها الحركات التحريرية الفلسطينية داخل فلسطين ؛ ولما قامت الثورة في مصر في يوليو 1955 ، اعرب عن تهانئه للقادة العسكريين المصريين الذين اصبحت له معهم علاقات طيبة . واحاطه جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة بكل عناية واعتبره ضيف شعب مصر العزيز المكرم . وفي هذه الظروف بدات اخبار الازمة بين زعيم المغرب محمد

ابن يوسف وبين السلطات الفرنسية تصل الى مصر ، وكان اول مردد لاصدائها هو محمد عبد الكريم الذى ارسل برقية الى «ترومان» رئيس الولايات المتحدة الامريكية لافتا نظره الى ما يجرى فى المغرب ، وطالبا تدخل السلطات الامريكية لحماية جلالة السلطان من كل اعتداء . واذا كان نداء محمد عبد الكريم لم يحدث المفعول الذى كان يؤمله ، فان استنجاده بالجامعة العربية صادف لدى العرب كل عطف « فلقد نهضت الدول العربية للتعبير عن تضامنها واستعدادها لانجاد ملك المغرب وللدفاع عن قضيته وقضية بلاده بجميع ما تملك من وسائل .

امام هذه الحركة التى لم يكن ينتظرها مدبرو المكيدة فلم يحسبوا لها حسابها ، رات الحكومة الفرنسية ان من الضرورى تهدئة نفوس العرب والمسلمين الذين هبوا ساخطين على السياسة المتبعة نحو الملك المسلم العربى الشهم . فصرح السفير الفرنسى بالقاهرة ان حكومته لم يخطر ببالها ابدا خلع ملك المغرب عن عرشه ، وانها لم تصدر لاحد بذلك امرا .

ولما نفذت المؤامرة الدنيئة فى اغسطس 1953 ضد جلالة الملك محمد ابن يوسف والعائلة المالكة المغربية ، ووضعوا فى المنفى السحيق فى جزيرة «مداغاشقر» ، قام محمد عبد الكريم بمساعى جليلة لدى الحكومات الغربية والشرقية والعربية والاسلامية لفائدة قائد الوطنية المغربية الذى ضحى بالعرش من اجل حرية شعبه وكرامته .

وبقى محمد عبد الكريم متصلا بزعماء المغرب العربى محاولا توثيق وحدتهم مستبشرا بالانباء التى كانت تصل الى مصر عن حركة المقاومة المسلحة فى المغرب ضد الاستعمار الى ان قررت الحكومة الفرنسية نظرا لسوء الحالة فى المغرب ، ونظرا لضغط الوطنيين والرأى العام الدولى على فرنسا ارجاع ملك المغرب محمد بن يوسف من منفاه السحيق الى وطنه ومنح الاستقلال الى المملكة المغربية .

النهاية

1- محمد عبد الكريم والمغرب المستقل

2- الوفاة

3- قيمة محمد عبد الكريم في تاريخ المغرب ب

محمد عبد الكريم والمغرب المستقل

عند ما علم محمد عبد الكريم ان الوطنيين المغاربة قبلوا التفاوض مع فرنسا سنة 1956 في «ايكس ليبان» اعلن عن استيائه من هذه المفاوضات التي «لا يتمخض عنها الا منح استقلال صوري للمغرب» حسب رايه ، واعتبر ان الزعماء المغاربة لم يكونوا اوفياء لميثاق تحرير المغرب العربي .

وما ان استقل المغرب وعاد جلالة الملك العظيم محمد الخامس وعائلته الى ارض الوطن حتى سأل عن احوال محمد عبد الكريم وارسل عدة مبعوثين يطلبون منه الرجوع الى المغرب بعد ما استقل وتحرر من الاستعمار . ففضل محمد عبد الكريم واخوه البقاء في مصر وعاد بعض ابناء الزعيم الريفي وابناء عمه وابناء اخيه الى وطنهم . فاشتغل عبد السلام الخطابي وابن عمه ضابطين في القوات الملكية المسلحة ، وتقلد رشيد الخطابي ابن شقيق الزعيم الريفي منصب قنصل المغرب العام في دمشق ثم قائم بالاعمال في باكستان . وجاء سنة 1959 الدكتور عمر الخطابي ابن عبد السلام الخطابي عم محمد عبد الكريم واشتغل في مستشفى القنيطرة . وقد فتح بعد ذلك عيادة في هذه المدينة تعتبر من انجح العيادات في المغرب . وقد اصبح يلعب دورا في السياسة المغربية ، واخذت الصحف الفرنسية تتحدث سنة 1968 عن نشاطه السياسي . وان بعض افراد آل الخطابي يعيشون اليوم في القاهرة وبعضهم يعيش في المغرب . وقد تزوجت احدى

محمد بن عبد الكريم

كريمات الزعيم الريفى بابن بوجيبار وهى تعيش اليوم مع زوجها فى مدينة الدار البيضاء .

وخصص لمحمد عبد الكريم من الميزانية المغربية راتب شهرى اعترافا للخدمات الجليلة التى اداها للوطن ودلك الى اواخر سنة 1962 (I).

وما ان استقل المغرب حتى عرف بعد بضع سنوات اضطرابات فى الريف وقد نتج ذلك عن قرار الحكومة المغربية لدمج شمال البلاد بجنوبها . ويقول : (دوجلاس آى اشفورد) فى هذا الموضوع فى كتابه «التطورات السياسية فى المملكة المغربيـة» : «تعتبر تجربة الاندماج مـع الشمال هامة لا اذا نظرنا اليها كمشكلة تواجه اعادة تنظيم الادارة فحسب ، بل ايضا كسبب قيام الثورات فى الشمال فى اواخر 1958» . ان الاضطرابات التى وقعت فى اواخر عام 1958 ترجع الى نقاط الضعف فى الادارة الريفية والى قيام الحركة الشعبية ، وكذلك فانها كانت الى حد ما نتيجة للادارة المعقدة وللصعوبات فى الاتصال برجال القبائل . وكانت الحكومة على معرفة تامة بمخاطر التأخير فى اقامة علاقات اقوى بين البادية والعاصمة . غير ان الحكومة كان ينقصها المال والتخطيط ، وقد قررت تنفيذ سلسلة من الاجراءات الشديدة باحراز الاسلحة . ووضعت عقوبات شديدة تفرضها المحاكم العسكرية لحيازة السلاح بدون ترخيص . وفى هذه الظروف كانت مستودعات الطعام لدى القبائل على وشك ان ينضب معينها خلال الصيف، حتى ان مناطق عديدة كانت على حافة المجاعات بحلول الخريف . وكان عزل بعض رجال ادارة البادية يصيب الموظف بسبب فساده او بسبب عدم كفاءته .

وقد وقع اول حادث فى اجدير عند ما قرر زعماء الحركة الشعبية ان ينقلوا جثة عباس ، قائد جيش التحرير الذى قتل غيلة ، الى قبر تذكارى فى جبال «الغزناية» الواقعـة شمال فاس . وتدخلت السلطات

(I) تقول شخصية مغربية فى الحكومة ان هذا الراتب لا زال يمنح لعائلة الخطابى .

المحلية فى هذا الموضوع ولكنهـا اهينت ، فالقى القبض عـلى احرضان والدكتور الخطيب من رجال الحركة الشعبية . ولم تقم الحكومة بأعمال ابعد من هذا ، غير ان القاء القبض على زعماء الحركة الشعبية نتج عنه قيام اثنين من نقباء الحركة بثورات صغيرة معتمدة على عصابات من رجال القبائل المسلحين ، فقاد ابن الميلودى جماعة بالقرب من ولماس ، وقاد موحا اوحمو عصابة اخرى فى منطقة تاهلة حيث تنزل قبيلة «بنى وراين» وكان رد الفعل الحكومى لهاتين الجماعتين موضحا بأن الحكومة قد بدات تولى مسألة اعادة النظام اهمية خاصة . فأرسلت جنود القوات الملكية المسلحة فى الحال لتطويق قوى ابن الميلودى ونزع سلاحه . وقد اعادت الحكومة النظام بسرعة الى منطقة ولماس ، وعلى النقيض من ذلك لم تتدخل سريعا فى منطقة تاهلة ، وقد استمر العصيان فى هـذه المنطقـة بعض الوقت من سنة 1959 .

وخلال هذه الفترة ، كانت هناك علامات تشير على ان اضطرابا سيقع فى الاقاليم الشمالية اى الحسيمة والناضور وتازة . وقد استرابت الحكومة من ان تدخلا اسبانيا قائما فى السر ، من المراكز التى تحتلها اسبانيا على الساحل . ومضى الحاج احمد بلافريج رئيس الحكومة ووزير خارجيتها الى حد جعله يتذمر رسميا من امـداد الثوار فى الشمال بالسلاح . وقام الدليل الثابت عى هذا فيما بعد . وقد خول احمد اليزيدى وزير الدفاع الوطنى الصلاحيات المدنية الكاملة والعكسرية ايضا ، فى ثلاثة اقاليم ، وقام باجراء التحريات فيها . ان مراكز السلطة وحدها ، اظهرت ان الادارة المحلية كانت ضعيفة . وقد صرحت صحيفة «العلم» بأنه كانت هناك مشاكل اعمق فى المنطقة تتعلق «بالنظام الاجتماعى والادارى فيها» . وهكذا عينت الحكومة ضابطا من اصل ريفى حاكما على مدينة تازة . ومع ذلك انتشرت المقاومة السلبية على نطاق واسع ، فهجرت القرى ، واغلقت الطرقات ، ونهبت مكاتب حزب الاستقلال . فكان التوتر فى الريف اخطر بكثير من المناوشات التى وقعت مع عصابات الحركة الشعبية .

وكان اول تدخل مباشر لجلالة الملك ان اذاع نداء من اجل النظام باللهجة البربربة المحلية اثناء التحرى الذى كان يجريه احمد اليزيدى . وقد استقبل جلالة الملك بعثة كبيرة من رجال قبائل الريف ، فأبدوا استياءهم من اعمال الجور التى كان يرتكبها رجال الادارة المحليون ، وابدوا سخطهم لقلة تعيين عدد من افراد قبائلهم فى الوظائف . فوعدهم جلالة الملك بأن جميع المظالم سيجرى اصلاحها ، وان جميع الحقوق المشروعة سوف تتحقق . وطلب منهم ان يعودوا الى قبائلهم فى هدوء وبدون خوف وان ينقلوا الى اخوانهم قلق جلالته الابوى ، وان يبلغوهم بأن يعود كل الى قريته لانه اصدر تعليماته بأن لا يمس احد بسوء .

وقام عبد الرحمن انكاى مدير الديوان الملكى بتحقيق رسمى ثان تناول دراسة المظالم التى يشكو منها 900 شخص فى اقاليم تازة والناضور والحسيمة . ونقلت نتائج تحريات عبد الرحمن انكاى الى جلالة الملك فى اوائل شهر ديسمبر . وكان ذلك علامة انتهاء فترة الاضطراب وبداية فترة من الهدوء النسبى لا سيما وان احرضان والدكتور الخطيب قد اطلق سراحهما . وجاء فى التقرير ان الصعوبات فى اقليم تازة كان لها «مظهر سياسى» . اما ولايتا الحسيمة والناضور فان اضطرابا اشد خطرا قام فيهما نتيجة ادماجهما بالجنوب وبسبب اخطاء موظفى ادارة البادية . وهذا التقرير تعليق رسمى واضح للغاية لمشكلة انشاء نظام سياسى وطنى فى مكانه فيه سلسلة كبيرة من الفوارق الاجتماعية . وقد صرح ناطق بلسان القصر الملكى ان الشعب ، ولا سيما فى الناضور والحسيمة ، قد شعر بأن «فوائد الاستقلال لم توزع على ابنائه بنفس المقدار الذى ناله اهل المنطقة الجنوبية». وقد اتهم رجال القبائل ابتداء من الشيخ حتى الحاكم بسوء التصرف .

وقد كان رجال القبائل والفلاحون على اتفاق تام بأن الاداريين المحليين قد اخفقوا فى كسب ثقة الشعب وتفهم المشكلات المحلية . وهذا يعزز التقارير القائلة بأن كثيرين من الاداريين قد ارسلوا الى المناطق دون ان تكون لهم اية معرفة باللهجة المحلية البربرية او بالعادات . وقد الح التقرير على الحاجة الى الاداريين «الامناء العادلين» الذين يفهمون رجال القبائل

والمنتمين الى نفس منطقتهم اذا كان ذلك بالامكان . وجاء الاعتراف صريحا بأن السنوات الثلاث الاولى للاستقلال قد تركت لدى القبائل شعورا بأنهم «لم يكونوا مشتركين فى الادارة العامة للبلاد» . وقد حث التقرير «الوزراء ووكلاء الوزارات او الموظفين التالين لهم مباشرة فى الرتبة يتكرار زيارة المنطقة وان يتصلوا اتصالا مباشرا بالجمهور» . ومن بين الاقتراحات التى قدمتها البعثات القبلية ، «ضرورة ان يغادر الموظفون المحليون مكاتبهم ويحاولوا ايجاد حلول محلية ما امكنهم ذلك» . وقد ختم التحقيق «بالطلب الى موظفى الادارة المحلية ان يتركوا الانتماء الى الاحزاب» ، وأوصى الاحزاب السياسية «بأن تتوقف عن التدخل فى الادارة او فى مسائل القضاء» .

وقد استمرت العصابات فى اعمالها فى منطقة الريف ، وهددت بقطع الجزء الشرقى من البلاد عن الرباط . فقام جلالة الملك بتوجيه نداء اخير الى القبائل «لتتوقف عن المقاومة السلبية وان تعود الى قراها» ، وقد بقيت المنطقة الشرقية القصوى حول الناضور هادئة ، غير ان المقاومة استمرت حيث بقى زعماء القبائل الاقوياء نشطين . واستمر اقشوش وهو قائد سابق بجيش التحرير يقود قبيلة «كزناية» ، واعلن ان احمد امزيان كان يقود «بنى ورياغل» ، وبقى موحا اوحمو فى المخبأ الجبلى عند قبيلة «بنى وراين» . وهذا جعل المنطقة المحيطة بالحسيمة النقطة التى تركزت فيها الثورة وحيث بقى الصنهاجى .

فى هذه الظروف اسس الملك العظيم محمد الخامس «حكومة شعبية» برئاسة عبد الله ابراهيم لمواجهة الحالة فى البلاد بالحلول التى تستحقها . وقد اتصل عبد الله ابراهيم بالثوار واقنعهم بأن مطالب القبائل سوف تجد الحلول فى القريب العاجل ، وقال لهم «ان الثورة التى دخلوا فيها لا تمثل شيئا بالنسبة لتطور الشعب المغربى الذى اخذ يبنى المستقبل بقيادة ملكه العظيم» .

وقد بدا الثوار عملياتهم فى يناير 1959 بقصد الاستيلاء على ميناء الحسيمة الذى كانت تحاصره القبائل الثائرة ولا تحميه القوات المسلحة الملكية . فقاد ولى العهد مولاى الحسن حملة من عشرين الف جندى من

الجيش الملكى لاخضاع الثوار . وقد قام الدليـل خلال الحمله عـلى ان السلطات الاسبانيـة قد تآمرت مع زعمـاء الثوار وامدت بعض رجالهـم بالسلاح . واستطاع الجيش الملكى ان يبعد اى تدخل اجنبى واسع وان يؤمن ميناء الحسيمة . وفى اواخر يناير 1959 بدات العمليات لتأسيس مراكز الجيش فى المنطقة المضطربة ولالقاء القبض على الزعيمين النشيطين محا اوحمو واقشوش .

وتقابل مع محمد عبد الكريم جميع الشخصيات المغربية التى كانت تزور القاهرة ، مع الحاج احمد بلافريج رئيس الحكومة ووزير الخارجية ، والدكتور الخطيب ، والمحجوب بن الصديق ، والطيب بن بوعزة ، وبالحسن الوزانى ، والمهدى بن بركة ، وآخرين .. وكانت جميع هذه الشخصيات تتحدث مع الزعيم المغربى وتطلب منه الرجوع الى المغرب ، فكان يجيبها بانه «لا يعود الى المغرب الا اذا غادر التراب المغربى آخر جندى اجنبى» وقد كان يزوره كثير من زعماء المغرب العربى والعالم العربى ليعرفوا مواقفه فى بعض الامور . فكان يدلى لهم بتصريحات هاجم فيها القادة التونسيين لكونهم قبلوا التفاوض مع فرنسا على اساس الاستقلال الداخلى ، وهاجم الحكومة الجزائرية المؤقتة لكونها قبلت المفاوضة مع فرنسا فى «ايفيان» ، واعتبر ان الثورة المسلحة فى افريقيا الشمالية كلها هى الوسيلة الوحيدة التى يمكن بها تحرير المغرب العربى . وانتقد جوانب من نظام الثورة فى مصر . وكانت جميع هذه المواقف تثير ردود فعل وانتقادات ضد محمد عبد الكريم .

ولما كان عبد الله ابراهيم رئيسا للحكومة المغربية ، اهتم بمصالح الزعيم محمد عبد الكريم فى الريف . فقد كانت الحكومة الاسبانية قد صادرت سنة 1926 جميع املاك محمد عبد الكريم وافراد عائلته ، وكان استرجاع هذه الاملاك قد وضع عدة مشاكل من الناحية العملية والقانونية. فاعيدت بعض الاملاك من الاراضى الى الزعيم الريفى وعائلته ، ولم تسترجع الى آل الخطابى بيوتهم التى ظلت مستعملة مراكز ادارية (1)،

(1) علمت هذا الامر الغريب من احد اصدقاء آل الخطابى .

رشيد بن امحمد الخطابى يشتقبل ضيوفه حينما كان فنصل المغرب العام فى دمشق

وفى يوليو 1959 لما سافر عبد الله ابراهيم الى القاهرة ، جاء محمد عبد الكريم لزيارته فى بيت سفارة المغرب ، ثم زاره عبد الله ابراهيم فى بيته وتحادث معه طويلا حول الاحداث التى كان بطلا لها فى الريف . واقام عبد الخالق الطريس سفير المغرب اذ ذاك فى الجمهورية العربية حفلة شاى على شرف عبد الله ابراهيم ، فحضرها محمد عبد الكريم وجاء معه جميع افراد عائلته الرجال من شقيقه الى ابنائهما وابناء عمهما . وقد حضر هذه الحفلة ايضا الزعيم الكوبى «شى كيفارا» واعضاء الوفد الكوبى الذين كانوا يقومون بزيارة للجمهورية العربية المتحدة .

وفى شهر فبراير 1960 قام الملك العظيم محمد الخامس بزيارة الى الدول العربية وجاء الى القاهرة . حيث تقابل مع الزعيم المغربى واكد له اعتراف المغرب ملكا وحكومة وشعبا بالجميل بأعمال البطولة التى قام بها لتحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية ، وتحادث معه طويلا حول ايام الكفاح . كما زار الامير مولاى عبد الله الزعيم المغربى الذى زار بدوره محمد الخامس . ولما توفى هذا الاخير فى فبراير 1961 بعث محمد عبد الكريم الخطابى برقية الى جلالة الملك الحسن الثانى يقدم فيها التعازى الحارة للعائلة المالكة المغربية .

وقد اهتمت حكومات صاحب الجلالة بشؤون الريف وبنت المستوصفات والمدارس فى كثير من القرى واسست شبكة من الاوتيلات فى المدن الرئيسية فى الريف : فى الشاون وفى كتامة وفى الحسيمة وفى الناضور ، حتى تزدهر المنطقة من الناحية السياحية . وتم فتح «طريق الوحدة» وترصيفه ليربط المغرب الجنوبى بالمناطق الجبلية فى المغرب الشمالى ، وقد تحقق هذا المشروع بتشجيع من الملك العظيم محمد الخامس ومبادرة من الزعيم المغربى المهدى بن بركة باسم حزب الاستقلال . وقد شارك آلاف الشباب المغربى فى الاشغال بقيادة ولى العهد مولاى الحسن الذى اشتغل بضعة ايام فى هذه الطريق .

كما تم بناء سد مشرع قليلة على نهر ملوية فى ضواحى الناضور .

ان السلطات الاسبانية الاستعمارية لم تهتم بتنمية هذه المنطقة خلال عهد الحماية وتركتها فى الحالة التى كانت عليها فى اليوم الذى جاءت فيه الى شمال المغرب . ان الريف منطقة جبلية فقيرة ، وان الدخل الزراعى العام لهذه المنطقة قد تم تقديره سنة 1963 بـ 122 مليون من الدراهيم ، وقدر الدخل الزراعى المتوسط لكل عائلة زراعية سنة 1963 بما فى ذلك الاستهلاك الذاتى بـ 625 مليـون درهم ، وقدر الاستهـلاك الغير زراعى بـ 150 درهما ، وهذه الارقام اذا جمعت يصل الدخل العام المتوسط الى 775 درهم . اى ما يعادل 155 درهما لكل عائلة زراعية وهو قدر يجعل عائلة من خمسة اوسنة افراد تعيش فى مستوى عيش كثير الانخفاض .

فى المزروعات السنوية ، فان الريف ينتج الحبوب من قمح وشعير وذرة، وهى تشغل المساحات الاكثر اهمية . وان الانتاج فى هذه الاراضى لا يتعدى خمسة قناطر في الهكتار بصفة عامة . وفى الاراضى المسقية القليلة توجد 3.600.000 شجرة زيتون تغطى 36 هكتارا و5،200،000 شجرة تين تغطى 26 هكتارا ، والعنب يغطى 10 آلاف هكتار ، وشجرة اللوز تغطى ثلاثة آلاف هكتار . وان الزراعة السرية والاكثر ربحا هى زراعة «الحشيش» المعروف بـ «الكيف» فى المغرب ، فان اثنين ونصف او ثلاثة فى المائة من العائلات فى الريف الغربى تعيش من هذه الزراعة .

وفيما يخص البهائم فان عدد المعز 620.000 ، وعدد الاكباش 480.000 والبقر 314.000 ، ولا توجد مناطق كافية لتغذية هذه الماشية .

وان كثيرا من المساحـات فى الريف تغطيها الغابـات . فان هناك 280.000 هكتار من الاشجار المتشابهة ، وان شجر الفلين يغطى 130.000 هكتار تقريبا ، وشجر العرعار 630.000 هكتار ، وعلى 1.300 متر فوق سطح البحر توجد 24.000 هكتار من شجر الارز .

وان فى الريف خمسة مدن تساهم صناعتها وتجارتها قليلا فى تنمية المنطقة من الناحية الاقتصادية . وان الرواتب الغير الزراعية يأخذها اصحابها من الاوراش العمومية ومن اشغال حكومية اخرى ومن التجارة الصغيرة

ومن الصناعة التقليدية . وان البطالة تمس خمسين فى المائة من الرجال فى الريف الغربى . وان المشكل الاساسى لهذه المنطقة هو قرض الاراضى السريع ، وصغر المزارع ، والوسائل التقنية البدائية ، والضغط الدمغرافى، فنتج عن ذلك كله رواتب منخفضة تنقص باستمرار .

ويسعى المسؤولون المغاربة اليوم لتكون المزارع تتوفر على مساحة هكتارين ونصف ، ولكن الجميع متفق على ان ثلاثة ارباع الريفيين يجب ان ينزحوا الى مناطق اخرى او للمدن ، ولكن سهول المغرب ولا مدنه لا تستطيع ان تتسع من الناحية الاقتصادية لمثل هذه الهجرة فى العشرين سنة المقبلة .

لهذه الاسباب كلها ، وضعت حكومة جلالة الملك بمشاركة منظمة الاغذية والزراعة التابعة لهيئة الامم المتحدة مشروع «ديرو» لتنمية الريف الغربى من الناحية الاقتصادية والزراعية . وقد اتفق على مدة خمس سنوات لتنفيذ هذا البرنامج تبدا سنة 1965 وتنتهى سنة 1969 ، ولكن خطورة المشاكل فرضت على المسؤولين تهييء برامج اخرى تنفذ خلال خمسة وعشرين سنة . وقد تم تحليل تنمية الريف الغربى ايضا فى اطار التنمية الوطنية المغربية

وهناك مشاريع اخرى مثل مجموعة الناضور للصلب والحديد خط حديدى بين طنجة ووجدة عبر الريف ، وفتح مصانع صغيرة الخ .. وهناك ايضا تفكير حول تأسيس ميناء كبير فى مدينة الحسيمة ، ووضع

الوفـاة

فى شهر رمضان ، سادس فبراير 1963 ، توفى محمد عبد الكريم فى بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية ، وذلك حوالى الساعة الثانية عشرة ليلا . فجاء ابنه ادريس الخطابى بعد السحور الى بيت احمد بن المليح سفير المغرب ليخبره بالوفاة ، فذهب السفير المغربى فورا الى بيت الزعيم المغربى ليقدم تعازى جلالة الملك لعائلة الفقيد . وقد تحادث مع شقيق الزعيم وابناء هذا الاخير فى موضوع الدفن (1) . فبعث السفير برقية الى الحكومة المغربية يخبرها بالوفاة .. فأجاب جلالة الملك الحسن الثانى ببرقية الى آل الخطابى يقـدم فيها تعازيه ، وبعث ايضا برقية اخـرى الى سفيره «يعبر فيها عن رغبة المغرب لدفن بطله فى ارض الوطن» طالبا منه «ان يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر ليستأذن بأن تنقل الجثة الى الرباط وسيرافقها وفد مغربى» .

وقبل طلب موعد مع الرئيس العربى ، ذهب السفير المغربى ليخبر عائلة الزعيم ، فوجد بعض افرادها ومنهم شقيق الزعيم مع عباس هويدة سفير العربية المتحدة السابق فى المغرب ، ولما اخبرهم السفير المغربى بجواب جلالة الملك ، اخبره عباس هويدة ان عائلة الخطابى لم تقبل تشريح

---

(1) يقول السفير ان عائلة الخطابى قد عبرت له عن رغبتها لدفن الجثة فى المغرب .

الجثة وتحنيطها كما تطالب بذلك القوانين الدولية بعد مرور اربع وعشرين ساعة عن الوفاة ، حتى تسمح السلطات المصرية بنقلها الى المغرب . ومهما يكن، فان ارض مصر تعتبر ايضا بلاد الزعيم الفقيد وان حكومة الجمهورية العربية المتحدة مستعدة بأن تقيم له جنازة وطنية . فحاول السفير المغربى مع العائلة بأن تنقل الجثة الى المغرب بعد تحنيطها ، ولكنه لم يستطيع اقناعها بذلك ، فبعث ببرقية الى الحكومة المغربية يخبرها بتطور القضية.

فأرسل جلالة الملك وفدا برئاسة الدكتور الخطيب وزير الصحة والحاج احمد بركاش وزير الاوقاف لتمثيله فى الجنازة . وبعث الحسن الثانى الى سفيره بالقاهرة عشرة ملايين فرنك لتسديد نفقات الجنازة وتوزيع الصدقات .

وقد اقيمت لمحمد عبد الكريم جنازة كبرى حضرها جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة واعضاء الحكومة المصرية والسفراء العرب والمسلمين وكثير من الشخصيات ومن الناس ، ودفن فى مقبرة الشهداء بالعباسية بالقاهرة .

وبعد بضع سنوات ، قرر محمد الخطابى ، شقيق الزعيم زيارة المغرب ، فجاء الى الرباط فى نهاية سنة 1967 . فكان ضحية ازمات قلبية جعلته مضطرا للدخول للمعالجة فى مستشفى «ابن سيناء» فى الرباط . وقد زارته خلال وجوده فى المستشفى عدة شخصيات . وفى يوم 19 ديسمبر 1967 توفى شقيق الزعيم الريفى نتيجة سكتة قلبية ايضا .

وفى يوم 20 ديسمبر اقيمت جنازته ودفن فى اجدير بالريف . وحضر الجنازة وفد يمثل جلالة الملك ومن اعضائه الجنرال اوفقير وزير الداخلية ووفود جميع الاحزاب الوطنية ومنهم عبد الرحيم بوعبيد من اعضاء الكتابة العامة للاتحاد الوطنى للقوات الشعبية . والقى كثير من الزعماء الوطنيين خطبا لرثاء الفقيد .

وبعد اربعين يوما ، جاءت عائلة الفقيد الى اجدير لتقيم حفلة التأبين الاربعينية . وجاء بهذه المناسبة ممثلو الاحزاب الوطنية لالقاء خطب ، ولكن السلطات المحلية منعت هؤلاء الشخصيات من الدخول الى المقبرة ولم تسمح الا لعائلة الخطابى بالدخول لزيارة القبر .

وهكذا انتهت حياة هذين البطلين .

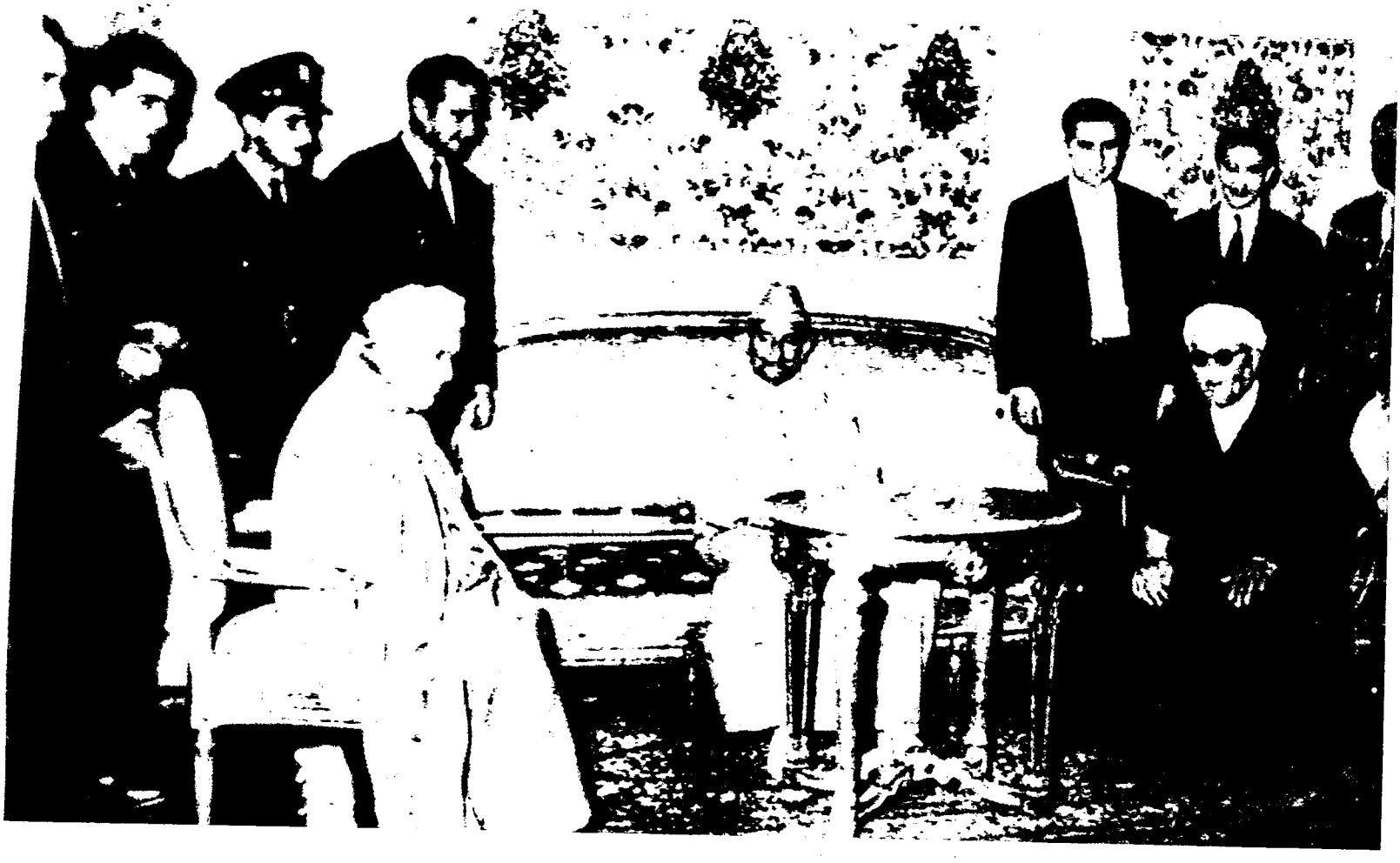

قيمة محمد عبد الكريم في تاريخ المغرب

من جميع ما لمسناه سابقا يبرز الدور الهام الذى لعبه محمد عبد الكريم الخطابى فى السياسة المغربية والعربية والدولية من سنة 1921 الى ان توفى سنة 1963 . فقد كان ابن الشعب البار الذى ابلى البلاء الحسن فى المقاومة من اجل تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية ، كما كافح من اجل حرية الانسان المغربى ورقيه وازدهاره فى اطار النظام الدستورى .

لقد استطاع محمد عبد الكريم توحيد قبائل الريف وحشد فى الحرب الريفية كل القوات المادية والمعنوية التى كانت كامنة فى الشعب . وقد وصل الاتفاق بين الافراد والجماعات فى الريف الى حد ان ذوى الثار الذين كانوا مختلفين تآخوا وتناسوا كل ما بينهم من حزازات ، وسامحوا قاتلى آبائهم واقاربهم فى سبيل المثل الاعلى الذى بعثه هذا الزعيم النبيل فى نفوسهم ، وألبهم الدفاع عنه والموت فى سبيله ، وهذا المثل الاعلى لم يكن الا تحرير المغرب واستعادة وحدته الترابية .

وقدمت الدعاية الاستعمارية «ثورة الريف» بأنها قامت ضد سلطة جلالة السلطان وللخروج عن طاعته ، فما هو مبلغ هذا الادعاء من الصحة ؟

لقد صرح محمد عبد الكريم بعد عودته من المنفى الى مصر «بأن ثورة الريف قامت ضد الاستعمار الاسبانى والفرنسى ، وهى تعتبر حربا تحريرية شنها الشعب المغربى ضد السيطرة الاسبانية والفرنسية على المغرب»

ولكن اذا امعنا النظر من الناحية التاريخية فى تاريخ العائلات المالكة التى تعاقبت على حكم المغرب منذ الادارسة الى العلويين ، وكيف تم اقصاء بعض العائلات من الحكم وصعود اخرى اليه ، نلمس ان هذه العملية كانت تنفذ غالبا فى الفترات التى يهجم فيها الاجنبى على البلاد محاولا السيطرة على حكامها ، فيقوم الشعب بقيادة عائلة تعرف بدفاعها عن الدين وتحارب الدخلاء وكثيرا ما يقودها الكفاح المسلح الى السيطرة على الحكم واقصاء الحكام الضعفاء منه .

وهذه الظاهرة حدثت للمرينيين حينما قام القادة السعديون يحاربون الاحتلال البرتغالى لبعض المدن المغربية . ففى الوقت الذى قامت فيه حرب الريف التحريرية كانت ظروف سلطان المغرب قهرية والبلاد تحت السيطرة الفرنسية الاستعمارية .

ولكن الدولة العلوية استطاعت بفضل الملك المجاهد محمد الخامس القضاء على السيطرة الاستعمارية وتحرير البـلاد بعد حماية دامت ثلاث واربعين سنة حاربها الشعب المغربى باستمرار .

فقد تكون الدعاية الاستعمارية فكرت فى هذا الجانب من تاريخ المغرب وارادت تقديم البطل محمد عبد الكريم بمثابة الثائر على السلطان، الراغب فى الاستيلاء على الحكم . فلننظر لمواقف محمد عبد الكريم ، فقد صرح للمراقب المدنى «كابرييلى» : ان المسألة التى تهمنا اليوم ليست هى وجود سلطان المغرب ، ولكن المسألة التى تهمنا هى الاستقلال التام بدون تحفظ للشعب الريفى الذى هو على استعداد تام لتحقيق هذا الغرض . وانى شخصيا ليس لى طموح قط ، فلا اطمع فى السلطانية ولا فى الحكم المطلق . واذا كنت اشكل عرقلة ، فانى مستعد للانسحاب لاترك مكانى لغيرى .. نريد ان نعيش احرارا مستقلين لا يحكمنا الا الله تعالى !!»

ولقد عرفنا سابقا ان تحرير الريف بالنسبة للزعيم المغربى لم يكن الا مرحلة اولى لتحرير المغرب بأكمله .

وبعد استقلال المغرب اتخذ محمد عبد الكريم مواقف سياسية قد تبدو للبعض خيالية ولا تتسم بالواقعية ، وقد تبـدو لآخرين متطرفة ،

وقد تناسب جماعات اخرى . ان الحديث فى هذا الموضوع يفتح الباب لافتراضات متعددة ولا نهاية لها . فكل ما يستطيع المرء ان يقول فى هذا الموضوع ان محمد عبد الكريم بصفته زعيما له مناصروه فى المغرب ومعارضوه، قد وصل فى اجتهاده وحسب تجاربه الخاصة الى اتخاذ مواقف سياسية من النوع الذى اتخذه .

فلننظر الآن فى الموقف الرئيسى الذى اتخذه اثر اعلان استقلال المغرب ؟ لقد قال : «انه لا يعود الى المغرب الا اذا لم يبق فوق التراب المغربى اى جند اجنبى» .

فى 1956 ، كانت فى المغرب قواعد فرنسية وامريكية ، وقد عمل جلالة الملك محمد الخامس وجلالة الملك الحسن الثانى منذ استقلال المغرب من اجل جلاء جميع القوات الاجنبية من ارض الوطن ، وتحقق الجلاء بعد بضع سنين من تاريخ الاستقلال بفضل عمل جلالة الملك محمد الخامس وحكومة عبد الله ابراهيم ، الا ان الحكومات المغربية المتعاقبة وافقت على بقاء بعض العسكريين الاجانب ، وذلك لاسباب فنية محضة تحتاج اليها القوات المسلحة الملكية . وهناك عدد كبير من بلدان العالم الثالث يوجد فيها عسكريون اجانب من هذا النوع . وان فى المغرب احزابا توافق على هذه المساعدة الفنية واخرى تطالب بالاستغناء عنها .

فاعتقد ان الاحتلال الى يومنا هذا لبعض المناطق المغربية مثل ايفنى ووادى الذهب ومليليا وسبتة والجزائر الجعفرية من طرف اسبانيا هو الامر الذى كان يقلق محمد عبد الكريم ويجعله يفكر انه من العار الرجوع الى بلاده التى غادرها سنة 1926 ، لايجاد مناطق مغربية يحتلها الاستعمار بالرغم من الكفاح المرير الذى خاضه الشعب المغربى بقيادة ملكه .

فى هذه النقطة ، فان جلالة الملك محمد الخامس وجلالة الملك الحسن الثانى والحكومات المغربية المتعاقبة والراى العام المغربى بأكمله ، متفقون على ان الوجود الاستعمارى فى ارض الوطن شىء غير مقبول ويجب القضاء عليه ولكن سياسة الحوار المغربى الاسبانى التى اتبعت الى يومنا هذا لم يستطع المغرب بواسطتها الا استرجاع منطقة طرفاية التى كانت خاضعة

لاسبانيا . ان الراى العام المغربى يسعى من اجل تحرير هذه المناطق لا سيما فى الوقت الذى اصبح فيه التنافس الامريكى السوفياتى قويا فى البحر الابيض المتوسط .

وقد اتخذ محمد عبد الكريم موقفا سياسيا آخر حينما قدم جلالة الملك الحسن الثانى مشروع الدستور الى الاستفتاء فى دجنبر 1962 ليقول الشعب كلمته فيه . فصرح محمد عبد الكريم لمراسل صحيفة «التحرير» المغربية لسان حال «الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية» ان الدستور يجب ان يضعه مجلس تأسيسى منتخب ليكون شرعيا حسب رايه . فلا اريد هنا ان ادخل فى جدال فى هذه النقطة ، ولكن هناك فى المغرب من ايد هذه الفكرة، وهناك من اعتبرها غير معقولة نظرا لظروف المغرب الاجتماعية والسياسية . فكل ما استطيع ان اقول فى هذا الموضوع ان محمد عبد الكريم كان يتشبث دوما بالنظام الدستورى . ولقد سبق ان اوردنا ما كان يفكر فيه «.. نريد ان نعيش مستقلين لا يحكمنا الا الله تعالى !!» (I) وقد روى علال الفاسى فى كتابه «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى» ما يأتى : «لقد صرح لى الامير فى حديث بيننا ان الحركة التحريرية فى الريف كانت ذات اتجاه ديموقراطى يرمى لتحسين حالة الشعب فى الوقت الذى تعمل فيه للذود عن كيانه وحماية حوزته ، ولم يكن تأسيس «الجمهورية الريفية» عدولا عن فكرة الملكية فى نظر من قاموا من زعماء الريف ، ولكنهم فى الحقيقة لم يكونوا يستطيعون الكلام باسم ملك المغرب الذى جعلته ظروفه القهرية فى منطقة النفوذ الفرنسى ، ولم يريدوا ان يقعوا فى الخطأ الذى وقع فيه الهبة ووالده ماء العينين حينما اعلنا نفسيهما ملكين بعد ان كانا مخلصين للعرش ، والمدافعين عنه ، ولذلك فقد وجدوا حلا وسطا هو تأسيس نظام مؤقت يمكنهم من تنظيم الادارة وتدريب الجمهور على ان يحكم نفسه بنفسه ، وحتى اذا ما تم التحرير الكامل لسائر ابناء الوطن سلموا البلاد لصاحب العرش ، ولم يطلبوا بأكثر من تطبيق نظام دستورى يحقق رغبات الشعب فى مراقبة اعمال الدولة والتعاون على تسييرها» .

(I) تصريح محمد عبد الكريم للمراقب المدنى الفرنسى «ليون كابرييل»

لقد اتخذ محمد عبد الكريم موقفه بخصوص الاستفتاء على الدستور نتيجة تجاربه الخاصة ، وله الحق فى ذلك لكونه مواطنا مغربيا وزعيما وطنيا ، وقد قال رايه بحرية واخلاص وهو بالقاهرة .

وقد وقف مواقف اخرى اثارت ردود فعل مختلفة . اعلن محمد عبد الكريم كما راينا معارضته لمفاوضات «ايكس ليبان» بخصوص استقلال المغرب ، وهاجم القادة التونسيين لما قبلوا فتح مفاوضات مع فرنسا على اساس الاستقلال الداخلى ، وهاجم الحكومة الجزائرية المؤقتة لما دخلت فى مفاوضات مع فرنسا فى «ايفيان» ، واعتبر ان زعماء افريقيا الشمالية لم يكونوا اوفياء لميثاق تحرير المغرب العربى . كما انتقد بعض جوانب نظام الثورة المصرية .

فى هذا الموضوع يقول بعض الناس ان محمد عبد الكريم لم يكن رجلا سياسيا يسعى من وراء عمله الى التوصل الى الحكم ، لهذا كانت مواقفه السياسية تتسم بالصراحة والتطرف والعصبية فى بعض الاحيان ، وقد اغضبت كثيرا من المسؤولين فى افريقيا الشمالية لما سمعوا عنها .

ويقول عبد الله ابراهيم فى هذا الموضوع : «ان محمد عبد الكريم كان صوت ضمير يعبر عن مشاعر الجماهير الشعبية ويفكر مثلها» .

ومع ذلك فقد تبين من خلال كفاحه وجهاده انه رجل يتشبث بمبدا الحوار الصريح ، فكان منطقيا مع نفسه ولم يتزعزع عن مبادئه التى آمن بها منذ اليوم الذى قام فيه ضد الاستعمار ، اذ ان الحرب الريفية تمسكت بوحدة التراب المغربى ، وكانت ترمى الى امرين : استقلال البلاد ووحدة ترابها وتمتيعها بالحكم الدستورى ، وقد ظل هذان الامران غاية كل الوطنيين المغاربة منذ فجر القرن العشرين الى اليوم .

فقد كتب محمد عبد الكريم صفحة مجيدة فى تاريخ المغرب يحق لكل مغربى وعربى ومسلم وللانسان فى العالم الثالث ان يفتخر بها. ولانه لمن دواعى السرور ان يجد المرء فى كل عواصم العالم فى خزائنها العامة : فى بيكن وفى طوكيو ، وفى باريس ، وفى موسكو ، وفى واشنطن ، وفى دلهى الجديدة ، وفى لندن ، وفى مدريد ، وفى القاهرة مستندات تروى قصة

البطل المغربى الخالدة ودوره كـرجل العمل الذى كـان لا يعتبر السلطة استعلاء ولكنها تفاعل مع الشعب . لهذا فان الشعب المغربى يعتبره من ابطاله الابرار الذين ضحوا فى سبيل تحريره وازدهاره .

سلا 15 ماى 1968

فهرس

تقديم 5

المقدمة 9

1 - الثورة

16.000 قتيل فى انوال 13

الحكومة الريفية 24

ديبلوماسية تكافح مؤامرات 32

استسلام القائد 50

2 - المنفى

21 سنة فى جزيرة «لاريونيون» 57

الهروب من الباخرة 62

فى عاصمة الوطنية والثورة 72

3 - النهاية

محمد عبد الكريم والمغرب المستقل 81

الوفاة 92

قيمة محمد عبد الكريم 96

المصادر 103

المصادر

1 ـ «حوادث الريف من سنة 1924 الى 1926»

تأليف «ليون كابرييلي»
مطبعة «اطلانتيد» الدار البيضاء

2 ـ «بيت اوربا»
تأليف «بول سكوط مورور»
مطبعة «ميفلن» ببوسطن

3 ـ «البرابر والمخزن فى جنوب المغرب»
تأليف «روبير مانطيني» .
مطبعة «فيليكس الكان» بباريس

4 ـ «المغامرة الريفية الغربية»
تأليف «بيير فانطين»
مطابع «رونار» بباريس

5 ـ «عبد الكريم»
تأليف «بيير دوما»
مطابع «لوبون بليزير» بتولور

6 ـ «الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى»

تأليف علال الفاسى
«دار الطباعة المغربية» بتطوان

7 ـ «مشروع الحكومة المغربية الخاص بتنمية الريف (ديرو)»

8 ـ «نضال ملك»
تأليف محمد رشيد ملين

9 ـ «التطورات السياسية فى المملكة المغربية»
تأليف «دوجلاس آى. اشفورد»

السيد محمد العلمي

... اني أقدر لكم الجهد العظيم الذي بذلتموه تبياناً لمعالم ثورة الريف المغربية وأسبابها ودور الزعيم المجاهد العظيم فيها ، ذلك الدور الذي أصبح علاقة تحول كبيرة في تيار التحرر العربي من الاستعمار والامبريالية العالمية .

جمال عبد الناصر

.. وقد اهتدى الأستاذ محمد العلمي الى القيام بواجب ذهل عنه الكثير من المثقفين المغاربة ... فألف هذه الرسالة عن بطل الريف وحركته دون أن يهمل اعطاء نظرة عامة عن منطقة الريف وتطورات الأحوال فيها .

ولقد كان مضطراً ككل كاتب الى مراجعة المصادر الأجنبية التي ذكرها في آخر الكتاب ، وهي على ما أشرت اليه من التوجيه الاستعماري .

وقد حاول أن يبقى في اطار الموضوعية بقدر المستطاع ، فشرح عوامل الثورة وأسبابها وبعض عناصر مقوماتها دون أن ينسى بعض نقط الضعف التي أدت الى فشلها ، ولكنه بذل الجهد لتهذيبها على حسب ما سمحت له مصادره الشفوية الأخرى .

علال الفاسي

تقديم :

الرئيس علال الفاسي

الناشر الأطلسي